
روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
الجاسوس
٦٣
Looloo
www.dvd4arab.com

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـ الاستقبال ..

هبطت الطائرة القادمة من (القاهرة) ، فى ذلك الصباح ، فى مطار (أورلى) بـ (باريس) ، وانزلقت عجلاتها بعض الوقت على ممرّ الهبوط ، قبل أن تستقر واقفة ، ولم تكد (سونيا جراهام) تلمح (كلوديا موريس) على سُلّم الطائرة ، حتى تهلّلت أساريرها ، وهى تلوّح لها بكفها فى حرارة ، من شرفة الانتظار ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة ظافرة ، وهى تسترجع فى ذهنها كل الأحداث السابقة ..

تذكّرت كيف بدأ الأمر منذ بضعة أشهر ، حينما جاءت للعيش فى (باريس) ، بعد أن لفظتها (الموساد) من صفوفه ، إثر عملية فاشلة ، كان الفوز فيها لغريمها اللّدود ، رجل المخابرات المصرى (أدهم صبرى) ، حيث التقت بزميلة أخرى مطرودة ، تدعى (جوزفين مونيه) ، كانت تعمل بعد طردها مديرة للعلاقات العامة ، فى شركة دعاية ضخمة ، تملكها المليونيرة الفرنسية المغامرة (كلوديا موريس) ، وتربطها علاقة وثيقة بملك العصابات فى (باريس) ، (مارسيل بيكر) ، واتفق رأى الأفعيين ، (سونيا) ، التى اتخذت لنفسها اسم

(برجيت فرانسوا) ، و (جوزفين) ، على أن تقوما بعمل قوى ، يقنع (الموساد) بإعادتهما إلى صفوفه ، وبعد محاولات بارعة شيطانية ، وُلدتْ منظمة جاسوسيّة خاصة ، يتزعمها الأربعة ، (سونيا) ، و (جوزفين) ، و (كلوديا) ، و (مارسيل) ، وأطلقوا عليها اسم (ملائكة السّلام) ، ونجحت عمليتهم الأولى فى (موسكو) ، ثم اعترض (أدهم صبرى) ، وزميلته (منى) طريقهم ، واشتعل الصّراع ..

وتذكّرت (سونيا) كيف نجحُوا فى الإيقاع بـ (أدهم) و (منى) فى فخٍّ مُحْكم ، وكيف ألقاهُما (مارسيل) فريسةً لأسد إفريقى ضخم ، أطلق عليه اسم (نابليون) ، ولكن (أدهم) نجح فى قتل (نابليون) بيديه العاريتين ، وفرّ مع (منى) من وكر (مارسيل) ، وتسبّبا فى مصْرع (جوزفين) ، فى نفس الوقت الذى سافرت فيه (كلوديا) إلى (مصر) ، لتبدأ العمليّة الثانية للمنظّمة ، التى أطلق عليها (أدهم) اسم (ملائكة الجحيم) ، حيث نجحت فى زرع جاسوس بالغ الخطُورة ، فى هيئة التصنيع الحربى المصرية ، يعمل جاهدًا على انتزاع سرّ التعديلات الجديدة ، التى يُجْريها خبراء التصنيع الحربى المصريُّون ، فى المقاتلة (ف ـــ ٢٠) ، المعروفة باسم (تايجر شارك) ..

- وأطلق (مارسيل) رجالهُ خلف (أدهم) ، وهو يظن أن (أدهم) هو الذى قتل (جوزفين) ، وفى الوقت ذاته اتهمت (سونيا) (أدهم) بسرقة منزلها ، والاعتداء عليها بالضرب ، فانطلق رجال الشرطة يسعَوْنَ خلفه ، ووقع (أدهم) بين شِقّى الرّحَى ، وأطبق الجميع الحصار حوله ، حتى نجح (مارسيل) ، بخطة بارعة محكمة ، فى الإيقاع به ، فألقت الشُّرطة الفرنْسية القبض عليه ، وتم إيداعه سجن (باريس) ، انتظارًا لمحاكمته ..

وأخذ رجال (مارسيل) فى السجن ، يدسُّون لـ (أدهم) مادّة خاصّة فى قهوته ، التى يتناولها ـــ طبقًا لتعليمات السّجن ـــ كلَّ صباح ومساء ، مما أوهن قواه ، وأضعفه ، وأصابه باضطراب فكرى ، جعله مشوّش العقل ، عاجزًا عن القتال ..

وهنا أصْدر (مارسيل) أوامره بقتل (أدهم) ، داخل السجن ، قبل مغيب شمس اليوم(*) .

واتّسعت ابتسامة (سونيا) فى تلذُّذ وتشفّ ، حينما وصلت ذكرياتها إلى هذه النقطة ، فقد بات من المحتّم ألا تغرب شمس اليوم ، إلا ويكون (أدهم صبرى) مجرّد ذكرى ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزءين ، الأوّل ، والثانى ، (ملائكة الجحيم) و (ملك العصابات) .. المغامرتين رقم (٦١) و (٦٢) .

ذكرى رجل كان يحمل يومًا لقب (رجل المستحيل) ..

انتزعها من ذكرياتها صوت (كلوديا) ، وهى تقبل عليها متهللة الأسارير ، هاتفة فى سعادة :

ـ لقد نجحنا يا عزيزتى (برجيت) .. لقد كانت عملية رائعة ، وتمّ كل شىء على النحو الذى خططناه .

أشارت إليها (سونيا) أن تخفض صوتها ، وهى تقول فى صرامة :

ـ حذار يا (كلوديا) .. هل يروق لك فضح أسرارنا على الملإ ؟

ارتسمت على شفتى (كلوديا) ابتسامة عابثة ، وهى تخفض من صوتها ، قائلةً فى مرح :

ـ لا تلعبى دَوْرَ المعلّمة النصوح يا عزيزتى (برجيت) ، لقد انتهى كل شىء بنجاح ، وأنا أكره المعلّمات منذ طفولتى .

زمجرت (سونيا) على نحو بدا متناقضًا مع جمالها الفتّان ، وهى تهمس فى حنق :

ـ لم ينته شىء بعد يا (كلوديا) ، مادام رجلنا لم يعد بالتصميمات المصريّة ، حتى الآن .

أطلقت (كلوديا) ضحكة مرحة ، وهى تقول :

ـ سيفعل يا عزيزتى (برجيت) .. أؤكّد لك أنه سيفعل .

قادتها (سونيا) إلى خارج المطار فى سرعة ، وهى تصرخ فى أعماق نفسها : أن هذه المليونيرة العابثة ستكون السبب فى تحطيم المنظمة ، لو واصلت استهتارها بكل قواعد السرّيّة على هذا النحو ، وقفزت إلى مقعد قيادة سيّارتها ، وأدارت المحرّك ، وانتظرت حتى احتلّت (كلوديا) المقعد المجاور لها ، ثم انطلقت بالسيّارة إلى منزل هذه الأخيرة ..

وأشعلت (كلوديا) سيجارتها ، دون أن تعنى بتقديم مثلها إلى (سونيا) ، ونفثت دُخانها فى تلذّذ ، قبل أن تسترخى فى مقعدها ، وقد شعرت بالارتياح لعودتها إلى (باريس) ، وسألت (سونيا) فى فضول :

ـ كيف حال (جوزفين) و (مارسيل) ؟.. هل بلغتهما أخبار نجاحى ؟

أجابتها (سونيا) فى لهجة صارمة ، ودون أن تبعد عينيها عن الطريق :

ـ لقد لقيت (جوزفين) مصرعها .

اعتدلت (كلوديا) فى مجلسها بحركة حادّة ، واتسعت عيناها فى ذُعر ودهشة ، واحتبس دُخان سيجارتها فى صدرها ،

فانطلقت تسعل مرّتين أو ثلاث مرّات فى قوّة ، حتى احتقن وجهها فى شدّة ، ودمعت عيناها ، وهى تقول فى صوت شاحب مُختنق :

ــ كيف ؟!.. ومتى ؟!.. لقد تركتُها فى خير حال !

كانت الكراهية تبدو واضحة فى ملامح (سونيا) وصوتها ، وهى تقول :

ــ لقد قتلها (أدهم صبرى) .

مرّة أخرى اتسعت عينا (كلوديا) فى ذُعر ودهشة ، وهى تهتف :

ــ (أدهم صبرى) ؟!.. ألم يفترسه (نابليون) ؟

قصّت عليها (سونيا) تفاصيل ما حدث ، وبالغت فى إضفاء صفتَى الخِسّة والنّذالة على (أدهم) ، لتجعله يبدو فى صورة وحش مفترس ، أو سفّاح بلا قلب ، حتى وصلت إلى أوامر (مارسيل) بقتله فى السجن ، واستمعت إليها (كلوديا) مشدوهة ، حتى انتهت (سونيا) من قصّتها ، فعادت (كلوديا) تُلقى ظهرها على مسند مقعدها ، وهى تغمغم :

ــ إنه يستحق هذا .. لقد كانت (جوزفين) رقيقة وجميلة .

ومضت لحظة من الصّمت ، قبل أن تردف فى صوت هامس :

ــ وهو أيضًا وَسيم للغاية .

عقدت (سونيا) حاجبيها فى حَنق ، وهى تقول :

ــ هل وقعتِ فى حبه ؟

أطلقت (كلوديا) ضحكة عابثة ، كأنّما لم تتلق منذ لحظات نبأ مصرع (جوزفين) ، وابتسمت فى خُبث ، وهى تقول :

ــ إنه يستحق فى الواقع ، حتى أننى آسفة لأنه خصْم لنا .

ثم هزّت كتفيها فى لامُبالاة ، وعادت تنفث دُخانَ سيجارتها ، وهى تسأل (سونيا) فى هدوء .

ــ ومتى يتم قتله ؟

تألّقت عينا (سونيا) فى شراسة ، وهى تقول فى تشفّ :

ــ قبل مغيب الشمس يا (كلوديا) .. سينتهى (أدهم صبرى) إلى الأبد ، قبل مغيب شمس اليوم .

* * *

٢ — مصرع سجين ..

من العسير على رجُل اعتاد حياة الخطر ، وألِفها ، وعاش حياة حافلة بالنّضال والقتال ، مثل (أدهم صبرى) ، أن يستسلم لذلك الوّهن الذى دبّ فى جسده ، بعد أن تناول قدح القهوة ، الذى يحوى المادّة المخدّرة ، هذا الصباح ، ولكن تلك المادّة اللعينة كانت تجعل عقله مضطربًا مشوّشًا ، حتى أنه كان يبذل جهدًا خارقًا لمجرّد التفكير ، ومحاولة تقييم الأمُور ..

كان قد كشف فى اللحظة الأخيرة ، بعد أن انتهى من تناول قهوته ، أنه فريسة لمادّة تسلبه قُدراته وحُسْن إدراكه ، وكان يعلم أن بقاءه على هذا الوضع يجعله لُقمة سائغة لأولئك الأوْغاد ، الذين يعملون جاهدين للقضاء عليه ، بعد أن وعدهم زعيمهم (مارسيل بيكر) — ملك العصابات — بمكافأة تبلغ ثلاثة ملايين فرنك ، ثمنًا لرأسه ، ولكن ذهنه كان يأبى أن ينسّق الأمر ويدرسه ، ويتخذ الوسيلة الدفاعيّة المناسبة ، للحفاظ على حياته ، حتى يذهب أثر تلك المادّة الملعونة ..

وفى كل مرّة يُحاول تركيز ذهنه فى هذا الأمر ، كان يجد عقله منحدرًا — على الرّغم منه — فى استعادة مشاهد وذكريات

سابقة ، كقتاله مع (نابليون) ، وظهور (سيرجى كوربوف) المفاجئ ، ومصرع (جوزفين) ، وأعماق نهر (السين) ..

أفكار مُشوّشة ، متخبّطة ، تذهب بقُدرات (رجل المستحيل) ، وتسلبه لقبه الذى يعتز به ، ويفخر بحمله ..

ولكن تلك المادّة اللعينة ، لم تنجح فى إضعاف كل قدرات (رجل المستحيل) ..

لقد أبقت له الإرادة ..

إرادة فولاذيّة ، صُلْبة ، عنيدة ..

إرادة قادرة على زحزحة الجبال ، ومواجهة الأعاصير ..

ولكن هل تنجح الإرادة وحدها ؟..

هل ؟..

* * *

ابتسم حارس حجرة الطّعام فى سُخرية ، وهو يتأمّل (أدهم) ، الذى بدا شاردًا ، مضطربًا ، شاحبًا ، ثم مال على أذن السجين المسئول عن وجبات الطعام ، وهمس مشفيًا :

— يبدو أنك لن تلقى أية صعوبة فى القضاء على هذا الرجل ، فقد آتت قهوتك مفعولها ، وهاهو ذا يبدو كسكّير مدمن .

ألقى السجين نظرة سريعة على (أدهم) ، ثم ابتسم ، قائلاً :

— لم يعد قتله يقلقنى يا عزيزى ، ولكننى أبحث عن وسيلة مناسبة ، تبدو فى هيئة حادثٍ عارض ، أو شجار بين سجينين تسبّب فى مصرع أحدهما صدفة ، فالزّعيم يكره حوادث القتل المفضوحة ، وما تجلبه من تحقيقات وتحرّيات .

عقد الحارس حاجبيه مفكّرًا ، ثم لم يلبث أن غمغم فى حماس :

— ما رأيك فى أن يسقط فى إناء الطّبخ ، و ...... ؟

قاطعه السجين فى هدوء :

— كلّا يا صديقى .. لقد عثرت على الوسيلة المُناسبة .

سأله الحارس فى اهتمام :

— كيف ؟

ابتسم السجين فى دهاء ، وهو يقول :

— لقد تشاجر الرجل هذا الصباح مع (شارل) ، وحطّم أنفه ، وثلاثًا أو أربعًا من أسنانه ، ولا ريب أن (شارل) يشعر نحوه الآن بكراهية وبغض لاحدّ لهما ، ولو أننا نجحنا فى إرسال هذا الرجل إلى قسم التنظيف ، حيث يعمل (شارل) ، سيكون من السهل أن ندفع (شارل) لقتله ، فى حين نبقى نحن بعيدًا عن الصّورة .

غمغم الحارس معترضًا :

— وكيف يقتله (شارل) فى حجرة التنظيف ؟

أجابه السجين فى لهجة رجل ضجِر :

— ألا تعلم كيف يتم اعتصار الثياب قبل تجفيفها ؟.. إنها توضع تحت مكابس ضخمة قويّة .. هل فهمت ؟

تألّقت عينا الحارس ، وهو يقول :

— يا للشيطان !!.. لقد فهمتك بالطبع .

ثم عاد يسأله فى اهتمام :

— ولكن كيف يمكن نقله للعمل فى قسم التنظيف ؟

أجابه السجين فى هدوء :

— إنها مهمتك يا صديقى .

ثم حدجه بنظرة ناريّة ، وهو يستطرد :

— إن مسيو (مارسيل) يمنحك هذا الراتب الشهرى الضخم ، الذى يبلغ خمسة أضعاف راتبك لتفعل هذا .. أليس كذلك ؟

امتقع وجه الحارس ، وندّت من بين شفتيه ضحكة مضطربة ، وهو يغمغم :

— آه .. بالطبع يا صديقى .. بالطبع .


ورأى الجميع (أدهم) يتلوّى ألمًا ، وهو يمسك معدته بذراعيه ..

وفجأة .. ارتفعت فى المكان صرخة ألم قويّة ، والتفتت العيون كلها إلى مصدرها ، ورأى الجميع (أدهم) يتلوّى ألمًا ، وهو يمسك معدته بذراعيه ، فهتف الحارس فى جزع :

ــ هل .. هل دسَسْتُ له السمّ فى القهوة ؟.. اسمع يا هذا .. إننى المسئول عن قاعة الطعام ، وأكره أن أتورّط فى مثل هذه الأمور و .....

قاطعه الحارس فى خشونة :

ــ صَهْ يا رجل .. إننى لم أدسّ له سوى تلك المادّة ، التى أرسلها مسيو (مارسيل) ، وبنفس المقدار الذى أوصى به .

ثم استطرد فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ــ ولكن يبدو أن معدة صديقنا أضعف من أن تحتمل هذا .

حدّجه الحارس بنظرة متشكّكة ، ثم اندفع إلى قاعة الطعام ، صائحًا :

ــ هيّا .. احملوه إلى المستشفى بلا إبطاء .. هيّا .

ووقف يتابع فى قلق باقى المساجين ، وهم يحملون (أدهم صبرى) إلى مستشفى السجن فى سرعة ، فى حين غمغم السجين فى سخرية :

ــ لا فائدة أيها المصرى .. لن تغرب شمس اليوم إلا وأنت

جثة هامدة .. فلا أحد يمكنه أن يخالف أوامر (مارسيل بكر) .

* * *

مضت نصف ساعة فقط ، قبل أن يعود (أدهم صبرى) من مستشفى السجن ، وقد بدا أكثر ضعفًا وتهالكًا من ذى قبل ، حتى أنه بَدا مُستسلمًا تمامًا ، وهم يقودونه إلى قسم التنظيف ، حيث استقبله (شارل) بابتسامة شرسة ، تمتلئ بالكراهية ، كشفت عن صف أسنانه الأمامية المكسورة ، وانحنى سجين حجرة الطعام على أذن (شارل) ، هامسًا فى خبث :

ـــ هاهو ذا يعود إليك لقمة سائغة يا عزيزى (شارل) ، لا أظنك ستسمح له بالسخرية منك مرّة أخرى ، بعدما فعله بك هذا الصباح !

زمجر (شارل) فى خشونة وغضب ، وهو يغمغم :

ـــ سأقتله .

أجابه السجين فى دهاء ، محاولاً إثارة حِقدِه وغضَبه :

ـــ لا أظنك تجرؤ .

ومضت عينا (شارل) بمزيج من الوحشية والثورة والغضب ، وهو يهتف :

ـــ سترى .

هزّ السجين كتفيه فى سخرية ، ليشعل المزيد من أعصاب (شارل) الثائرة ، ثم اتجه فى هدوء إلى الخارج ، حيث استقبله حارس حجرة الطعام ، وهو يسأله فى شغف :

ـــ هل سيفعل ؟

أجابه السجين فى ثقة :

ـــ لست أشك فى ذلك .. إن أمثال (شارل) ، من ضخام الأجساد وضعاف العقول ، يفقدون سيطرتهم على عقولهم فى سهولة أمام الغضب والكراهية ، ومن النادر أن يتنازل أحدهم عن ثأره .

عاد الحارس يسأله فى قلق :

ـــ ولكن ماذا فعل ذلك المصرىّ فى المستشفى ؟.. أخشى أن يكونوا قد أجروا له عملية غسيل معوىّ ، فتخلّص من القهوة ، وما تحويه من مادّة .

ابتسم السجين فى خبث ، وهو يقول :

ـــ لقد تأكّدت أنهم لم يفعلوا يا صديقى .. لقد كانت بعض التقلّصات المعويّة العاديّة ، ولم يحتج الأمر لأكثر من حقنتين صغيرتين ، ثم إن هذه المادة تُمتصّ بسرعة ، وتذهب إلى دمائه بعد تناولها بلحظات ، ولن ينقذه الغسيل المعوىّ منها .

واتسعت ابتسامته ، وهو يردف فى ثقة :

ــ اطمئن يا صديقى .. سيلقى ذلك المصرى مصرعه ، بعد ساعة واحدة على الأكثر .

* * *

تظاهر (شارل) بالانهماك فى عمله ، وهو يختلس نظرات مفعمة بالكراهية إلى (أدهم) ، الذى بدا واهنًا متهالكًا ، وهو ينقل أكوام الملابس المبتلة إلى المكبس الضخم ، الذى يهبط ليعصرها اعتصارًا ، فيلفظ ما بها من ماء ، قبل أن يرتفع المكبس مرّة أخرى ، وينقلها (أدهم) إلى عربة خاصّة ، يتولّى أمرها بعد ذلك سجين آخر ، ينقلها إلى آلة التجفيف ..

وفى كل لحظة تمضى ، كانت الكراهية تتصاعد وتتضاعف فى أعماق (شارل) ، وتمتزج بغضبه ، فتشتعل فى أعماقه نيران الثورة والسُّخط ، حتى حانت لحظة ابتعدت فيها عيون كل الحرّاس عن الرجلين (أدهم) و(شارل) ، وهنا ترك (شارل) عمله ، واندفع بكل قوته نحو (أدهم) ، فى اللحظة التى بدأ فيها المكبس الضخم هبوطه ..

كانت دفعة واحدة من جسد (شارل) الضخم ، تكفى

لإلقاء (أدهم) أسفل المكبس ، الذى سيحطِّم عظامه ، ويطحن جسده طحنًا بلا شك ..

وارتفعت صيحات الفَزَع والدهشة من أفواه جميع العاملين فى قسم التنظيف ، مختلطة بصرخة ألم هائلة ، وصوت عظام تتحطَّم ، فاندفع حارس حجرة الطعام إلى قسم التنظيف ، وهو يهتف :

ــ ماذا حدث ؟

استقبله رئيس حرّاس قسم التنظيف شاحب الوجه ، وهو يقول فى اضطراب :

ــ حادث بشع يا زميل .. لقد لقى أحد السجناء مصرعه ، لقد طحنه المكبس الكبير طحنًا .

* * *



٣ — دماء فى السجن ..

استقبلت (منى توفيق) النقيب (حلمى) ، أحد رجال مكتب المخابرات المصرى فى (باريس) ، بلهفة شديدة ، وهى تسأله :

— هل عثرت عليه يا (حلمى) ؟

بدا النقيب (حلمى) شديد القلق والشحوب ، وهو يُلقى جسده على أقرب مقعد إليه ، فى منزل الرائد (وليد) ، ويغمغم فى لهجة آسفة :

— نعم .. لقد عرفت أين هو .

هتفت (منى) بكل ما يحمل فى جسدها من جزع ولوعة واضطراب ، وقلق :

— أين يا (حلمى) ؟.. أين المقدّم (أدهم صبرى) ؟

أشاح (حلمى) بوجهه ، ليخفى ذلك الألم المرتسم فى ملامحه ، وهو يقول :

— فى السجن .. فى سجن باريس .

اتسعت عينا الرائد (وليد) ، وهو يحدّق فى وجه (حلمى) غير مصدّق ، فى حين غارت الدماء من وجه

(منى) حتى بات شبيهًا بوجوه الموتى ، وتركت جسدها يسقط على أقرب مقعد إليها ، وهى تغمغم :

— كنت أعلم هذا .. كنت أعلم أنه قد تورّط فى شىء ما .

اندفع (وليد) يسأله فى انفعال :

— وكيف حدث هذا ؟

قصّ (حلمى) عليهما ما توصّل إليه ، من أن (سونيا) قد اتهمت (أدهم) بسرقة منزلها ، والاعتداء عليها بالضرب ، وأعدّ له رجال الشرطة كمينًا ، بعد مكالمة من مجهول ، ونجح فى الإيقاع به ، وتم نقله إلى مركز الشرطة الرئيسىّ ، حيث تعرّفته (سونيا) فى عرض عام ، ثم نقله بعدها إلى سجن (باريس) ، تمهيدًا لمحاكمته ..

ولم يكد (حلمى) ينتهى من قصته ، حتى هتفت (منى) :

— ولكن كيف استسلم (أدهم) لهذا ؟.. لماذا لم يحاول الفرار ؟

قلّب (حلمى) كفّيه فى حيرة ، وهو يقول :

— لست أدرى .

ثم عقد حاجبيه ، وهو يستطرد فى قلق واهتمام واضحين :

— ولكنهم يقولون إنه كان يبدو مضطربًا مشوّشًا ، عاجزًا عن التحرّك والتفكير ، كما لو أنه واقع تحت تأثير مخدّر قوى .

انسعت عينا (منى) لحظة ، ثم قفزت واقفة ، وهي تهتف :

— يا إلهي !!.. أراهن أن هذا ما حدث بالفعل ، فمن المستحيل أن يستسلم (أدهم) لكل ذلك ، ما لم يكن عاجزًا عن مواجهته .

واجتاحها انفعال شديد ، وهي تستطرد ملوّحة بكفّيها :

— لقد دسُّوا له هذا المخدّر بوسيلة ما ، وهذا يعني أنه يتعرّض لخطر بالغ ، فليس أهون عليهم من التخلّص منه داخل السجن ، وهو تحت تأثير المخدّر .

وبلغ انفعالها ذروته ، وهي تهتف :

— لابدّ أن نسعى بكل قوّتنا لإنقاذه ، قبل أن ينجحوا في قتله .

عقد (وليد) حاجبيه في شدة ، في حين أطرق (حلمي) برأسه ، وهو يغمغم في حزن وألم شديدين :

— ما لم يكن هذا قد حدث بالفعل .

كان من الممكن أن تمرّ عبارة (حلمي) كجملة اعتراضية عاديّة ، لولا تلك النبرة الدامعة التي حملتها ، والتي جعلت (وليد) و (منى) يتطلّعان إليه في شحوب وذهول ، قبل أن

يتسلّل صوت (منى) عبْر شفتيها باهتًا ، مختنقًا بالقلق والجزع ، وهي تقول :

— ماذا تعني ؟.. ماذا حدث ؟

تحوّلت تلك النبرة الدامعة في صوته إلى قطرة دمع حقيقية ، انسابت من عينيه في سكون ، وهو يقول في صوت حمل كل حزن الدنيا ومرارتها :

— لقد لقي أحد السجناء مصرعه في السجن منذ قليل ، ويبدو أنه .. أنه .....

صرخت (منى) :

— (أدهم) ؟!.. هذا مستحيل !! مستحيل !! مستحيل !!

* * *

بذل حارس حجرة الطعام جهدًا خارقًا ؛ ليخفي سعادته بنجاح الخطة ، وهو ينقّل بصره بين الحرّاس الذين يتحرّكون في كل مكان ، في عصبية واضحة ، والمساجين الذين التفّوا في حلقة واسعة ، وكل منهم يروي للآخرين ما شاهده مما حدث ، والكل يشتركون في صفة واحدة .. الوجوه الشاحبة ، والانفعال الشديد ..

وهزّ حارس حجرة الطعام رأسه ، وهو يتصنّع الأسف ، قائلاً :

ـ يا للمأساة !!.. إنها أوّل مرّة يحدث فيها هذا هنا .

أجابه رئيس الحرّاس بعينين زائغتين ، ووجه شاحب :

ـ إنه أبشع حادث رأيته فى حياتى .. لقد طحنته الآلة طحنًا .. صدّقنى ، إن هذا المشهد لن يُمْحَى من ذاكرتى أبدًا ، ولا تلك الصرخة التى أطلقها قبل مصرعه .

كان من الواضح أن المشهد سيبدو بشعًا للغاية ، إلّا أن حارس حجرة الطعام لم يستطع منع عينيه من التطلّع إلى المكبس ، ثم لم يلبث أن شعر بقلبه ينتفض ، حينما وقعت عيناه على جسد مطحون ، أشبه بكومة من لحم مفرىّ ، وعظام مفتتة ، وسط بركة من الدماء ، ميّز بينها فى صعوبة زىّ السجناء الرمادىّ ، أو ما تبقّى منه ..

وعاد رئيس الحرّاس يقول فى اضطراب :

ـ إننى لم أعد أجرؤ على الاقتراب من هذا المكبس .. لقد اعتصر المسكين على الرّغم من قوّته وعنفوانه .

عاد حارس حجرة الطعام يتصنّع الأسف والإشفاق ، وهو يغمغم :

ـ من المُحزن أن هذا المسكين لم يمض على وجوده فى السجن إلا يوم واحد .

حدّق رئيس الحرّاس فى وجهه بنظرة عجيبة ، كأنما كان يتطلّع إلى معتوه أو مخبول ، وهو يهتف :

ـ لم يمض ماذا ؟.. أىّ هُرَاء تقول ؟

ارتبك الحارس ، وهو يغمغم :

ـ هذا صحيح .. إن ذلك المصرىّ لم يدخل إلى السجن إلا البارحة فحسب .

صاح رئيس الحرّاس فى حنق :

ـ مصرىّ .. أى مصرىّ هذا ؟

اتسعت عينا الحارس ، وهو يتمتم فى تلعثم كامل :

ـ القتيل !.. أليس .. أليس هو الذى ..... ؟

قاطعه رئيس الحرّاس فى حِدّة :

ـ أى شيطان أوحى إليك بهذه الفكرة ؟.. إن الذى لقى مصرعه تحت المكبس هو (شارل) .. (شارل) الخنزير الضخم .

جحظت عينا الحارس فى ذُعر وذهول ، وحدّق فى وجه رئيس الحرّاس لحظة ، ثم اندفع يقتحم حلقة المساجين ،

وتجمدت الدماء فى عروقه ، وهو يحدق فى وجه (أدهم) ، الذى يتوسط الحلقة ، وقد بدا يحمل نفس الاضطراب والتشوش العقلى ، وهو يقول للآخرين :

ـــ لست أدرى ما حدث !؟.. لقد انحنيت لألتقط بعض الثياب المبتلة ، حينما شعرت به يندفع إلى جوارى ، ويسقط تحت المكبس ، ولقد حاولت إنقاذه ، ولكن المكبس الضخم كان أسرع منى .. صدقونى .. لست أدرى ماذا حدث بالضبط !

* * *

اتسعت عينا الحارس فى مزيج من الذعر والذهول ، وهو يغمغم :

ـــ مستحيل !! مستحيل !!

واستدارت إليه عيون السجناء فى دهشة ، ولكن عينيه تركزتا على عينى (أدهم) وخيل إليه أنه يلمح فيهما لمحة ساخرة ، قبل أن تعودا لاضطرابهما ، فعاد أدراجه ، وهو يترنح من فرط المفاجأة ، وغادر قسم التنظيف ، وتعلق بذراع السجين المسئول عن وجبات الطعام ، وهو يقول فى صوت متحشرج مرتجف :

ـــ لقد نجا .. إننى لم أر من هو أكثر حظًا منه !.. (شارل) هو الذى قتل .

اتسعت عينا السجين ، وهو يغمغم :

ـــ يا للشيطان !!

تشبث الحارس بذراعه ، وهو يهتف فى ذعر :

ـــ ماذا نفعل ؟.. ماذا نفعل ؟

أبعد السجين كفه فى ازدراء ، وهو يقول فى جدة :

ـــ لن نتوقف .. لقد أمر مسيو (مارسيل) بقتله قبل الغروب ، ولن يمكننا مخالفة أوامره .

هتف الحارس :

ـــ ولكن كيف ؟

برقت عينا السجين فى شراسة ، وهو يقول :

ـــ سنتجاهل شروط السرية والتخفى .. سنقتل ذلك الشيطان المصرى المحظوظ على أى نحو ، ودون تردد .

عاد الحارس يهتف فى ذعر :

ـــ كيف ؟

حدجه السجين بنظرة احتقار ، وهو يقول :

ـــ بالخناجر أيها الرجل .. سنمزق ذلك الشيطان المصرى بخناجرنا حتى الموت .

* * *

٤ ـ نِصال الموت ..

ألقى (مارسيل بيكر) بسماعة هاتفه فى سخط واضح ، فسألته (سونيا) فى عصبية :

ـ ماذا هناك ؟

أشاح بوجهه ، وهو يقول فى حنق وغضب :

ـ لقد أفلت ذلك الشيطان المصرى من أوّل محاولة لقتله ، بمصادفة عجيبة .

أطلقت (كلوديا) ضحكة عابثة ساخرة ، وهى ترتشف كأس (الكونياك) ، التى تحملها بين راحتيها ، وغمغمت فى لهجة أقرب إلى الإعجاب :

ـ ياله من رجل !!

حدجتها (مارسيل) و (سونيا) بنظرة حانقة ، فيما هتف الأوّل فى غضب :

ـ لقد حدث ذلك بالمصادفة البحتة يا (كلوديا) .

غمغمت (سونيا) فى شك :

ـ مصادفة ؟.. أأنت واثق من أنه لم يستعد قدرته على القتال ؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول فى حدّة :

ـ تمام الثقة ، إن المادة التى أضيفت إلى قهوته هذا الصباح قويّة ، لايزول أثرها قبل عشر ساعات .

سألته فى توتّر :

ـ ألا يمكنه أن ينهى تأثيرها بقيئها مثلًا ؟

هزّ رأسه نفيًا فى عصبية ، وهو يقول :

ـ مستحيل !! إنها تتغلغل فى عروقه خلال ربع ساعة فقط .

عادت تغمغم فى شك :

ـ ربّما ..

ثم سألته فى قلق :

ـ هل يمكنك أن تعلم ما الذى فعله (أدهم صبرى) ، منذ تناول قهوة الصباح ، وحتى حادث نجاته من محاولة القتل ؟

هتف وكأنه يستنكر سؤالها ويرفضه :

ـ بالطبع .. يمكننى أن أحصى دقّات قلبه أيضًا ، قبل أن يتوقّف عن النبض .

ورفع سمّاعة هاتفه بحركة حادّة ، وهو يطلب رقم أحد رجاله فى السجن ، فعقدت (سونيا) حاجبيها ، وهى تقول

— دعْهم لا يهملون تفصيلًا واحدًا ، مهما بدا لهم تافهًا عديم القيمة .

وتنهّدت فى حَنَق ، قبل أن تستطرد فى سخط :

— لابد أن نعلم ماذا فعل هذا الشيطان !

* * *

تطلّع السجين ، الذى يعمل لحساب (مارسيل) ، فى حَنَق نحو (أدهم) ، الذى انتحى ركنًا قصيًّا فى فناء السجن ، شاردًا متهالكًا ، بعد أن انتهت إدارة السجن من إجراء التحقيق اللازم معه ، إثر حادث مصرع (شارل) ، وقال موجّهًا حديثه لأربعة رجال يحيطون به :

— أريد منكم أن تقوموا بعملية سريعة ونظيفة .. إنه يجلس وحده هناك ، والمادّة التى تناولها فى قهوته تجعله ضعيفًا واهنًا ، مشوّش الفكر ، وعليكم أن تحيطوا به ، ثم تطعنوه بنصال خناجركم فى آن واحد ، وتبتعدون فى سرعة ، قبل أن يلحظ أحد ما حدث .

غمغم أحد الرجال الأربعة فى لهجة ساخرة :

— سأفصل رأسه عن جسده لو أردت ، مقابل ألف فرنك إضافية .

عقد السجين حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

— ستحصل على ضِعْفها لو تمّت العملية بنجاح ، دون الحاجة إلى فصل رأسه .. اطعنه فى عنقه فحسب ، وعلى الآخرين أن يطعنوه فى قلبه ومعدته ومؤخرة عنقه .. وليقم كل منكم بعمله وحده ، ولابدّ أن تتمّ الطعنات الأربع فى وقت واحد .

غمغم رجل آخر فى تلذّذ ، وكأنما يجد متعته فى إراقة الدماء :

— سنفعل يا صديقى .. اطمئن .

واتجه الأربعة بأجسادهم الضخمة فى هدوء ، إلى حيث يجلس (أدهم) ، الذى تطلّع إليهم فى خمول ، وهم يحيطون به ، وفجأة انتزع كل منهم خنجره ، والتمعت نِصال الموت الأربعة ، وهى تتجه نحو جسد (أدهم) فى سرعة ، وبرقت عينا السجين فى ظفر ..

* * *

استمع (مارسيل) فى اهتمام إلى تقرير حارس السجن ، عن تحركات (أدهم) ، ثم وضع سمّاعة الهاتف ، والتفت إلى (سونيا) ، قائلًا :

ـ لم يحدث شيء ذو قيمة يا عزيزتي (برجيت) ، فلقد تناول المصري قهوته ، التي تحوي المخدّر ، ثم أصابه بعض المغص المعوي ، ونقل إلى مستشفى السجن و .....

قاطعته (سونيا) في حدّة :

ـ مستشفى السجن ؟!.. هل أجروا له غسيلًا معويًا ؟

ابتسم ، وهو يقول :

ـ لا يا عزيزتي (برجيت) .. إنهم لم يفعلوا ، وما كان ليجدي ، وإنما فحصه طبيب مستشفى السجن ، وأعطاه حقنتين من مضادات التقلص فحسب .

ارتسم الجزع على وجه (سونيا) ، وهي تقول :

ـ وهل عرفت نوع المادة التي حقنه بها الطبيب ؟

أطلق (مارسيل) ضحكة هادئة ، وهو يقول :

ـ اطمئني يا عزيزتي (برجيت) .. لقد استعلمت عن هذه النقطة بالذات .. إن (أدهم صبري) لم يقترح نوع المادة ، فالطبيب هو الذي فعل ، ولقد حقنه بمادة مضادة للتقلّص بالفعل .

عادت (سونيا) تسأله ، وقد تحوّلت لهجتها إلى العصبيّة المفرطة :

ـ ما نوع المادة يا (مارسيل) ؟

تطلّع إليها (مارسيل) في دهشة ، وكذلك فعلت (كلوديا) ، بعد أن تخلّت عن ارتشاف (الكونياك) من كأسها ، ثم لم يلبث (مارسيل) أن أجابها في حنق :

ـ مادّة عادية يا (برجيت) .. أبسط وأرخص مادة لمعالجة التقلّصات المعويّة .. (الأتروبين) .

اتسعت عينا (سونيا) في مزيج من الذعر والسخط ، وهي تهتف :

ـ حقنتين من (الأتروبين) ؟.. يا للشيطان !!

عقدت (كلوديا) حاجبيها ، وهي تتطلّع إليها في دهشة ، في حين قفز (مارسيل) من مقعده ، وهو يهتف في توتر :

ـ ماذا تعنين ؟

لوّحت بذراعيها في سخط ، وهي تهتف في مرارة :

ـ لقد خدع الجميع .. خدعهم بمعلومة بسيطة ، يعلمها كل رجل في أي جهاز مخابرات في العالم .. إن (الأتروبين) ليس مجرّد مضاد للتقلّص فحسب .. إنه أيضًا منبه للقشرة المخية ، ومحفّز للعقل :

شحب وجه (مارسيل) ، وهو يغمغم فى ذعر :

ـ يا للشيطان !!.. هل تعنين ..؟

صاحت فى مزيج من اليأس والمرارة :

ـ نعم .. هذا ما أعنيه .. لقد خدعنا (أدهم صبرى) اللعين .. إنه لم يعد ذلك الضعيف المشوَّش الذهن الذى أردناه .. لقد استعاد قواه وقدراته كلها .. لقد أصبحت تحارب شيطانًا يا (مارسيل) .. شيطانًا يخشاه الموت نفسه ..

* * *

لم تكن المفاجأة من نصيب (سونيا) و (مارسيل) و (كلوديا) وحدهم ، ولكن الجزء الأكبر منها كان من نصيب هؤلاء الأوغاد الأربعة ، الذين تكاتفوا لطعن (أدهم) ، فى أجزاء متفرِّقة من جسده ، بنصالهم التى تحمل موتًا بلا رحمة ..

لقد استلَّ كل منهم خنجره ، وهوَى به ليطعن جسد (أدهم) ، الذى بدا متراخيًا مستسلمًا ..

ثم انقلب كل شىء فجأة ، على نحو مذهل ..

تلاشى كل الخمول والتراخى ، اللذين يبدوان على ملامح (أدهم) ، كفقاعة من الصابون ، انفجرت دون أن تترك

أثرًا ، وتحوَّل ذلك الخمول المُتراخى بغتة إلى كتلة من النشاط والحيوية والقوَّة ، وهو ينزلق من مقعده بحركة سريعة ، رشيقة ، مذهلة ، متفاديًا نصال الموت الأربعة ، التى اختل توازن أصحابها من فرط المفاجأة والذُّهول ، ولم يكد كل منهم يعتدل مرة أخرى ، حتى صك مسامعهم صوت (أدهم) الهادئ الساخر ، وهو يقول فى قوَّة وبأس :

ـ ليس هكذا يكون الأمر أيها الأوغاد .. أين تعلَّمتم الطعن ؟.. فى روضة أطفال ؟

استدار إليه الرجال الأربعة فى حركة حادَّة ، وارتفعت قبضاتهم الممسكة بمقابض خناجرهم ، وقد تغلَّب غضبهم الهائل على ذهولهم ، ولكن هيهات ..

لقد استردَّ رجل المستحيل عنفوانه وقوَّته ، وأصبحت المعركة غير متكافئة ..

وفجأة .. تحوَّل (أدهم صبرى) إلى إعصار مدمِّر ..

وتحطَّم فك أوَّل الرجال الأربعة ، قبل أن يدرى من أين أتته اللكمة ، وتهشَّم أنف الثانى ، وقد خُيِّل إليه أن جدران السِّجن كلها قد هوَت على أنفه مجتمعة ، وطعن الثالث الهواء ، ولم يجد الفُرصة ليعتدل ، فقد غاصت قدم (أدهم) فى معدته ،



وفجأة .. تحوّل (أدهم صبرى) إلى إعصار مدمّر .. وتحطّم فك أوّل الرجال الأربعة ، قبل أن يدرى من أين أتته اللكمة ..

وأجبرته على مزيد من الانحناء ، قبل أن تتلقّى مؤخرة عنقه ضربة أشبه بالقنبلة ، جعلته يطلق خوارًا كالثور ، قبل أن يتمدّد على وجهه فاقد الوعى ..

وقفز الرابع إلى الخلف ذاهلًا ، ثم لم يلبث أن نفض ذهوله ، وأطلق صرخة غاضبة ، وهو ينقضّ على (أدهم) بخنجره ، ولكن يد (أدهم) اليسرى ارتفعت فى سرعة ، وأمسكت معصم الرجل الأيمن ، ثم انطلقت قبضته اليمنى لتغوص فى معدة الرجل ، الذى أراد أن ينثنى من فرط الألم ، ولكن تلك القبضة التى أصابت معدته ، قفزت فجأة إلى فكه ، وهوت عليه كصاعقة ، قبل أن يسقط فاقد الوعى ..

وارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (أدهم صبرى) ..

لقد انتخبه القدر لمواصلة الحياة هذه المرّة ..

ولمواصلة القتال ضد (ملائكة الجحيم) ..

* * *

٥ — الهروب من الخطر ..

وقف (أدهم) هادئًا فى الفناء ، إلى جوار الرجال الأربعة الفاقدى الوعى ، فى حين اندفع الحرّاس والمساجين من كل صوب ، نحو منطقة المعركة ، وصوّب أحد الحرّاس بندقيته نحو (أدهم) ، وهو يهتف :

— ماذا فعلت أيها التّعِس ؟

أجابه (أدهم) فى برود ، وهو يشير إلى الخناجر الأربعة ، الملقاة أرضًا :

— هم التُّعَساء لا أنا .. لقد كنت أدافع عن حياتى فحسب .

أخذ الحارس ينقّل بصره بين (أدهم) ، والأجساد الأربعة الضخمة ، المتوسّدة أرض الفناء ، فى ذهول ، فى حين عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، فبدا عملاقًا مفتول العضلات ، شامخ الجبين ، وهو يسترجع ما حدث فى الساعات الماضية ..

لقد كشف ، بعد أن ارتشف قهوة الصباح ، أنه ضحيّة لمادّة مخدّرة ، تشوّش تفكيره ، وتوهن قُواه ، وحاول أن يعثر

على مهرب ، قبل أن يحاول رجال (مارسيل) قتله داخل السجن ، ولكن اضطراب ذهنه وتفكيره حالا بينه وبين ذلك ..

وهنا استجمع إرادته كلها ..

استجمع من أعماقه إرادة فولاذية جبّارة ، جعلته يحمل دوْمًا لقب (رجل المستحيل) ..

واسترجع ما تعلّمه فى سلك المخابرات العامّة ، عن العقاقير ووسائل مقاومتها ..

كان ذلك يستلزم منه جهدًا رهيبًا ، ولكنه فعله ، حتى تذكّر أمر (الأتروبين) ، كمادة منشطة للعقل ، وهنا تظاهر بأنه يعانى آلامًا وتقلّصات معويّة حادّة ، وتركهم ينقلونه إلى مستشفى السجن ، ويدفعون (الأتروبين) ، الذى يسعى إليه ، فى عروقه ، وهم يتصوّرون أنهم إنما يعالجون تقلّصات معدته فحسب ، دون أن يدرى أحدهم أنهم ينزعون الوهن والتشوّش من جسده وعقله أيضًا ..

كانت المخاطرة الوحيدة فى هذه اللعبة ، هى أن يكون طبيب مستشفى السجن من رجال (مارسيل) ، ولكنه — لحسن الحظ — لم يكن كذلك ..

وشعر (أدهم) بجفاف شديد فى حلقه ، وبصعوبة فى التطلّع إلى الضوء المباشر ، وبشعور من التوهج فى جسده ووجهه ، ولكنه لم يبال ، فقد كان هذا هو الثمن الذى يدفعه من تسرى مادة (الأتروبين) فى عروقه ، ولقد بدت له هذه الأعراض ، على الرغم من متاعبها ، مبهجة ؛ لأنها كانت الدليل على أنه قد استعاد صفاء ذهنه ، وسرعة استجابته المعهودة ..

ولقد اختبر ذلك حينما هاجمه (شارل) ، فى قسم التنظيف ..

لقد لمح هجوم (شارل) بطرف عينيه ، وسمع وقع أقدامه وهو يندفع نحوه ، فانحنى فى سرعة ، وترك (شارل) يصطدم به ، ويهوى أسفل المكبس ..

ولم يكن يكذب حينما قال إنه قد حاول إنقاذه ، فقد حاول بالفعل ، ولكن المكبس كان أسرع منه ، وكأنما قرّر القدر أن يدفع (شارل) ثمن كل جرائمه السابقة ، فى هذه اللحظة بالذات ..

ورأى (أدهم) ألا يكشف عن يقظته على الفور ، فتظاهر بأنه مازال واهنًا ، مضطربًا ، مشوّشًا ، حتى هاجمه هؤلاء الأوغاد الأربعة ، فلم يعُد هناك مفرّ من إعلان الأمر ..

توقّفت ذكرياته عند هذه النقطة ، حينما سمع أحد الحرّاس يهتف فى صرامة :

ـــ المدير يطلب ذلك المصرى فى مكتبه .

دفعه الحرّاس إلى مكتب المدير ، وأحدهم يقول فى حنق :

ـــ لم يمض على قدومه إلى هنا إلّا يوم واحد ، وهاهو ذا يثير المتاعب واحدة بعد أخرى .

سار معهم (أدهم) إلى حجرة مدير السجن فى هدوء ، ووقف أمام مكتب هذا الأخير فى برود ، يتطلّع إليه ، وهو يقول له فى لهجة ساخطة :

ـــ اسمع يا مسيو (أدهم) .. إنك لست هنا فى قاعة للرياضة ، أو فندق فاخر .. إنه سجن له قواعده ولوائحه .. إن .....

لم يستمع (أدهم) إلى باقى حديث المدير ، فهو بطبعه يكره ذلك النوع من اللوم الروتينى ، ثم إنه كان يشعر بالحنق من نفسه ، فقد تعمّق شعوره بأنه كان شديد التخاذل فى هذه المهمّة ، مما جعلها تتعقّد وتتشابك ، وتزداد تخبطًا وصعوبة مع كل خطوة يخطوها ، فيجد نفسه فى النهاية سجينًا ، يعانى محاولات رجال (مارسيل) للتخلّص منه ، ويضيع الكثير من

الوقت فى صراعات جانبية ، دون أن يصل إلى هدفه الأساسى ، وهو القضاء على (ملائكة الجحيم) ..

وتحوّل حَنَقُه على نفسه إلى غضب جارف ، سرى فى عروقه كالحُمَم المتأججة ، والتهب له عقله وقلبه ، ووجد نفسه يهتف فى أعماقه :

ـــ ماذا أصابك يا (أدهم) ؟.. هل تقدّمت بك السن ، فصرت متخاذلاً متهاونًا ؟.. لماذا تكتفى بلعب دَوْرِ المدافع ؟.. إنك فى (باريس) ، فلتعمل إذن بالقاعدة التى وضعها (نابليون بونابرت) ، إمبراطور (فرنسا) السابق .. إن الهجوم هوَ خير وسيلة للدفاع .. لابدّ لك من مغادرة هذا السجن ، ومواصلة مهمتك ، وليذهب كل ما عدا ذلك إلى الجحيم .. لم يعُد لديك ما تخسره .. لقد انقلبت (فرنسا) كلها ضدك ، بشرطتها وعصاباتها ، وبالمدافعين عن القانون والمخالفين له .. هيّا يا (أدهم) .. انْفُضْ عنك كلَّ هذا التراخى ، وانطلق .

كان مدير السجن ما زال يهتف فى غضب وسُخط ، قائلاً :

ـــ إذا كنت ترغب فى قضاء أقل وقت ممكن هنا يا مسيو (أدهم) ، فعليك أن تلتزم بكل نظم السجن وقواعده ،

فصحيح أننا نكره المشاغبين ، ولكننا نضطر لإبقائهم معنا لوقت أطول و .....

قاطعه (أدهم) فجأة فى هدوء :

ـــ اطمئن يا سيّدى .. إننى لا أنوى البقاء هنا للغد .

اتسعت عينا المدير ، وهو يقول :

ـــ ماذا تقول ؟

وفجأة .. انحنى (أدهم) ، ودار على عقبيه فى رشاقة مذهلة ، وركل بندقية أحد الحارسين ، اللذَيْن يقفان خلفه ، ثم لكم الحارس الآخر لكمة ساحقة ، جعلته يسقط فاقد الوعى ، دون أن ينبس ببنتِ شَفَة ، ومال بجسده إلى الخلف فى مرونة ، ليتفادى لكمة من الحارس الأول ، وارتدّ كحبل من المطّاط ، ليلكم الحارس على أنفه مباشرةً ، فألقاه إلى جوار زميله ، وحاول المدير أن يقفز ليضغط جرس الإنذار ، المثبّت فوق مكتبه ، ولكنه رأى فوّهة بندقية أحد الحارسين مصوّبة إلى رأسه ، وسمع (أدهم) يقول فى هدوء :

ـــ يبدو أنك لم تحسن سماع عبارتى يا سيادة المدير .. كنت أقول إننى لا أنوى البقاء هنا للغد .

* * *

شحب وجه مدير السجن ، وتهالك على مقعده ، وهو يغمغم فى خفوت :

ـــ إنك تُقدِمُ على مخاطرة رهيبة .. هل تعلم عقوبة محاولة الفرار من السجن ؟

هزّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ـــ هل تعلم خطورة عدم إطاعة أوامرى ؟

هتف المدير فى توتُّر :

ـــ إذا كنت تظن أننى سأعاونك على الفرار من هنا ، فأنت واهم .

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وهو يقول :

ـــ لم يخطر ببالى قطُّ ، فلقد قرّرت منذ لحظات ألّا أنتظر أى نوع من المعاونة .

تطلّع إليه المدير فى دهشة ، وتضاعفت دهشته حينما انقلبت لهجة (أدهم) إلى لهجة صارمة مخيفة ، وهو يسأله :

ـــ ما اسم حارس البوّابة ؟

أجابه المدير فى تلقائية :

ـــ (جونيه) .

ثم لم يلبث أن استدرك فى حنق :

ـــ ولا تنتظر منّى معلومة أخرى زائدة ، حتى ولو أطلقت النار على رأسى .

بدت له ابتسامة (أدهم) غامضة ، وهو يقول :

ـــ اطمئن أيها المدير .. هذا يكفينى .

ثم التقط سمّاعة هاتف المدير ، الذى اكتنفه ذهول هائل ، حينما سمع صوته يخرج من بين شفتى (أدهم) ، الذى قال عَبْرَ الهاتف فى صرامة :

ـــ صِلْنِى بالبوّابة .

اتسعت عينا المدير فى ذهول جارف ، فقد طابق ذلك الصوت ، الذى خرج من بين شفتى (أدهم) ، صوته هو بدقّة مُذْهِلة ، حتى لقد تصوّر أنه هو الذى يلقى ذلك الأمر ، بأسلوبه ولهجته ..

واستمرّ ذهوله ثانية واحدة ، قبل أن يقفز من مقعده صائحًا :

ـــ أيها الشيطان !! إننى لن أسمح لك .

وفجأة .. تلقَّى فكه لكمة محكمة ، أعادته إلى مقعده فاقد الوعى ، فى حين غمغم (أدهم) فى أسف :

ثم التقط سمَّاعة هاتف المدير ، الذى اكتنفه ذهول هائل ،
حينما سمع صوته يخرج من بين شفتى (أدهم) ..

ــ لقد اضطررتنى لذلك أيها المدير .

ثم عادت حنجرته المرنة تستعيد صوت المدير ولهجته ، وهو يقول فى صرامة :

ــ أنا المدير يا (جوتيه) .. سيأتيك الحارس الجديد (ديلون) الآن ، أعطه سيَّارة قويَّة ، ودَعْه يذهب ، فقد أرسلته فى مهمَّة خاصَّة إلى إدارة الأمن العام ، وأريد منه أن يصل إلى هناك فى سرعة .

أجاب (جوتيه) فى احترام :

ــ كما تأمر يا سيادة المدير .

وهنا وضع (أدهم) سمَّاعة الهاتف ، وبدأ ينزع ثياب أحد الحارسين فى سرعة .

لقد حانت لحظة العَوْدة للقتال ..

* * *



٦ — وعاد العملاق ..

كان مدير المخابرات المصرية يبدو شديد الاهتمام والقلق ، وهو يسأل النقيب (مدحت) :

— إذن فقد طلب اللواء (حسن الغندور) رؤية التصميمات مرّة أخرى ، هل أبقاها معه ؟.. هل طلب أن يبقى وحده مع التصميمات ؟

هزّ (مدحت) رأسه نفيًا فى حَيْرة ، وهو يقول :

— أبدًا ياسيِّدى .. لقد قام بفحصها أمام خبير التصميمات ، ومدير مكتبه ، وناقش الخبير فى بعض التعديلات التى أُجْرِيَت ، ثم أعطاه التصميمات ، وعاد يُزاول عمله فى هدوء .

عقد مدير المخابرات حاجبيه فى حَيْرة ، وهو يغمغم :

— عجبًا !!..

وأخذ يقطع مكتبه جيئة وذهابًا ، وهو يزوى ما بين حاجبيه ، ويعقد كفّيه خلف ظهره ، ثم توقّف أمام نافذة حجرته طويلًا ، كعادته كلما استغرقه التفكير فى أمر غامض محيِّر ، وأخيرًا التفت إلى (مدحت) ، قائلًا :

— أخشى أن نكون قد أسأنا تفسير الموقف يا (مدحت) .

أسرع (مدحت) يقول فى توتُّر :

— ولكن حادث الفندق كان مقصودًا ياسيِّدى ، ولابدّ أنه يرمى إلى شىء ما .

مطّ مدير المخابرات شفتيه ، وهو يقول :

— بلا شكّ ، ولكن ماذا ؟.. ماذا جعلهم يفعلون هذا ؟.. وما ذلك السرّ الغامض الذى يحمله اللواء (حسن الغندور) ؟..

* * *

عاد الجاسوس الذى ينتحل شخصية اللواء (حسن) إلى منزل هذا الأخير(*) ، حيث استقبلته زوجة اللواء (حسن) الحقيقى ، وهى تقول فى قلق :

— كيف حال العمل اليوم ؟

أجابها فى اقتضاب :

— بخير .

(*) راجع الجزء الثانى (ملك العصابات) .. المغامرة رقم (٦٢).

ثم أسرع إلى حجرة مكتبه ، فتعلقت الزوجة بذراعه ، وهى تسأله فى حزن :

— ماذا بك يا (حسن) ؟

التفت إليها فى هدوء ، وهو يقول :

— لا شىء .. ما الذى دفعك لهذا السؤال ؟

غمغمت فى تردُّد :

— إنك .. إنك تبدو مختلفًا .. منذ عودتنا من عرض الأزياء أمس .

عقد الجاسوس حاجبيه فى قلق ، فلقد كان يتصوَّر أنه يؤدِّى دور اللواء (حسن) فى براعة فائقة ، بعد ثلاثة شهور من التدريبات الشاقَّة المكثَّفة ، ولكنه تنبَّه الآن إلى وجود قصور رهيب فى الخطة .. قصور يتعلَّق بحياة بديله الشخصية ..

لقد درس هو طبيعة اللواء (حسن) وشخصيته ، من الجانب الذى يراه الجميع ، ألا وهو جانب العمل ، أمَّا حياته الشخصية فى منزله ، وبين زوجته وأبنائه ، فهى جانب آخر من شخصيته ، تستحيل دراسته ، مادام من المستحيل أن يشارك أحد المقرَّبين منه فى العملية ..

وهذا يعنى أن العملية كلها تعرَّض للخطر ، وعليه أن يفلت من هذا القصور بسرعة ..

وابتسم فى وجه زوجة اللواء (حسن) ، محاولاً تقليد ابتسامة هذا الأخير وصوته وأسلوبه ، وهو يغمغم :

— لا عليك يا زوجتى الحبيبة .. إنها بعض متاعب العمل فحسب .

تطلَّعت الزوجة إلى وجهه فى دهشة ، وخُيِّل إليه أن عينيها قد حملتا الكثير من الشك والرِّيبة ، مع لمحة من الذُّعر ، قبل أن تطرق بوجهها وتصمُتْ لحظة ، ثم تسأله فى هدوء :

— هل ستزاول بعض العمل فى مكتبك ؟

ابتسم وربَّت على كتفها ، وهو يقول :

— نعم .. أنت تعلمين تكدُّس العمل .

تردَّدت لحظة ، أو هكذا خُيِّل إليه ، قبل أن تعود لتسأله فى هدوء :

— هل أعدّ قدح القهوة كالمعتاد ؟

ابتسم قائلاً :

— بالطبع .

ثم تركها ، وانطلق إلى حجرة مكتب اللواء (حسن) ،

وأغلق الباب خلفه فى إحكام ، وزفر فى عمق ، لتجاوزه هذه المشكلة ، ثم جلس خلف المكتب ، وفتح أحد أدراجه الجانبية ، والتقط منه ورقة ضخمة مطوية ، فردها أمامه ، وتطلع إليها فى اهتمام ، ثم تناول قلمه ، وبدأ يضيف إلى الرسم التخطيطى ، الذى يملؤها ، بعض الخطوط والتفاصيل فى سرعة ومهارة ، وهو يشعر بالثقة والظفر ، فقد تم تدريبه على نحو خاص ، بحيث يمكنه إدراك التعديلات الموجودة فى التصميمات بمجرد النظر ، وإضافتها إلى نسخة التصميمات التى يحملها بنفسه ، حتى لا يتعرض لمخاطر تصوير التعديلات ، وما يستتبعه من إثارة للشك ..

واستغرق منه هذا العمل ساعة كاملة ، انتهى بعدها من إضافة كل التعديلات إلى التصميمات الرئيسية ، ثم التقط من درج مكتبه آلة تصوير دقيقة ، أسرع يلتقط بواسطتها عدة صور للتصميمات بعد التعديل ، وبعدها مزق التصميمات ، وجمعها فى سلة المهملات ، ثم أشعل فيها النار ، والتقط من آلة التصوير ذلك الميكروفيلم ، الذى يحوى الصور ، وحطم آلة التصوير ، وقام بفتح النوافذ ، ليتخلص من دخان الأوراق المحترقة ، ثم استرخى على مقعده ، وارتسمت على شفتيه

ابتسامة ظافرة ، وهو يشعل سيجارته ، وينفث دخانها ليختلط بدخان الأوراق المحترقة ..

لقد نجح هذا الجزء من الخطة ..

* * *

فحصت (منى) ذلك المسدس الذى أعطاها إياه الرائد (وليد) ، ثم دسته فى حقيبتها ، والتقطت عدستين زرقاوين لتضعهما فى عينيها ، حينما سألها (وليد) :

ــ هل تنوين إتمام المهمة وحدك ؟

كان صوتها يحمل مزيجًا من الحزن والمرارة والإصرار والعناد ، وهى تقول :

ــ بالطبع .. لقد قضى (أدهم) نحبه من أجل تحطيم (ملائكة الجحيم) ، وسأتم المهمة التى قُتل من أجلها ، ولو دفعت حياتى ثمنًا لذلك .

مس أسلوبها شغاف قلبه ، فقال فى صرامة :

ــ سنتمها معًا إذن .

عقدت حاجبيها ، وهى تقول :

ــ إنها مهمة خاصة بـ (أدهم) وبى فقط ، ولم تلتئم إصابة كتفك بعد .

قال فى صلابة :

ــ إنها مهمة لـ (مصر) أيها النقيب ، ولن تحُول إصابتى بينى وبين القتال من أجل وطنى .

صمتت لحظة ، وهى تتأمله فى هدوء ، ثم قالت :

ــ فليكن .. ولكننا سننتظر عودة (حلمى) ، وما يحمله من أخبار .

لم تكد تتم عبارتها حتى ارتفع رنين جرس الباب ، فأسرعت (منى) تهتف :

ــ لقد عاد (حلمى) .

وأسرعت إلى الباب ، وفتحته فى حركة سريعة ، ثم عقدت حاجبيها فى قلق ، وهى تتطلّع إلى ذلك الرجل الذى يقف أمامها ، مرتديًا زيًا رسميًا ، وقبعة من قبعات الشرطة ، يرخيها فوق رأسه لتخفى نصف وجهه ، وهو يقول بالفرنسية :

ــ أهذا منزل مسيو (وليد زهران) ؟

أجابته فى قلق :

ــ إنه هو .

فوجئت به يتقدم إلى الداخل ، ويزيحها عن طريقه فى برود ، فهتفت فى غضب وصرامة :

ــ هذا منزل خاصّ ، ومالم تكن تحمل إذنًا رسميًا بالتفتيش ، فلن .....

قاطعها الرجل فى هدوء ، وقد اختفت لغته الفرنسية ، وحلّت محلها لغة عربية ، ذات لهجة مصرية محبّبة إلى آذان (منى) ، وتحمل رنّة ساخرة ، جعلت قلبها يختلج بين ضلوعها فى قوّة :

ــ إذنًا رسميًا ؟!.. وهل يحتاج المرء إلى إذن رسمىّ لزيارة منزل صديق يا عزيزتى (منى) ؟

وأردف عبارته بخلع القبعة الرسميّة ، وإلقائها فوق مقعد قريب ، فاتسعت عينا (منى) فى مزيج من الذهول والفرح ، وهى تتطلّع إلى وجهه الوسيم ، وابتسامته العذبة ، ووجدت نفسها تصرخ فى سعادة غامرة :

ــ إذن فهو أنت !!.. حمدًا لله .. لقد عدت إلينا سالمًا يا (أدهم) .

ولم تكد تتم عبارتها حتى سقطت بين ذراعيه فاقدة الوعى ، من فرط الانفعال ..

* * *


ولم تكد تتم عبارتها حتى سقطت بين ذراعيه فاقدة الوعي ، من فــرط الانفعــال ..

أفاقت (منى) من غيبوبتها بعد ساعة واحدة ، فطالعها وجه (أدهم) ، وهو ينحني نحوها ، ويبتسم ابتسامة تحمل كل حنانه وحبه ، وهو يقول هامسًا :

ــ مرحبًا بك يا عزيزتي .

اعتدلت جالسة ، وهي تهتف في سعادة :

ــ (أدهم) .. مازلت أعجز عن تصديق عودتك سالمًا .. لقد أخبرنا (حلمي) أنك قد لقيت مصرعك في السجن .

ابتسم وهو يقول :

ــ يبدو أن (حلمي) يحتاج إلى فرقة خاصّة في جمع التحرّيات يا عزيزتي ، فقد كان عليه أن يتروّى قبل أن ينقل مثل هذا الخبر .

سألته في لهفة :

ــ كيف هربت من السجن ؟

هزّ كتفيه ، وهو يقول في لامبالاة :

ــ لم يكن ذلك بالأمر العسير يا عزيزتي ، فأي مخلوق يمكنه أن يفعل ذلك ، ما دام يرتدي زي حرّاس السجن الرسمي ، ويحمل بندقية ، ويتحرّك في هدوء ، حاملًا أمرًا خاصًا من مدير السجن .

ضحك (وليد) ، وهو يقول :

ـ إنك تجعل الأمر يبدو كنزهة لطيفة يا سيادة المقدم ، ولكن ليس من العسير بالفعل أن يفرّ من يحمل لقب (رجل المستحيل) ، من سجن (باريس) ، بعد أن نجح يومًا فى الفرار من سجن (منج سنج) الرهيب(*) .

ابتسم (أدهم) ابتسامة باهتة ، ثم سأل (منى) فى اهتمام :

ـ أما زالت حقيبة التنكّر الخاصّة بنا فى حجرتنا بالفندق ؟

أجابته فى هدوء :

ـ لست أدرى .. ولكن إيجار الحجرة مسدّد حتى نهاية الشهر ، ولكن رجال (مارسيل) سيراقبونها حتمًا ، فور معرفتهم بفرارك ، ولقد أحضرت أدوات التنكّر الأخرى ، التى ابتاعها (وليد) قبل .....

قاطعها فى هدوء :

ـ لن تكفى يا عزيزتى ، إن المواجهة ستتخذ هذه المرّة لونًا جديدًا ، وأحتاج إلى كل ذرّة من المعونة فيها .

سألته وقد بدأ القلق يتسلّل إلى صوتها :

ـ ماذا تنوى أن تفعل ؟

(*) راجع قصة (مخلب الشيطان) .. المغامرة رقم (٣٧) .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـ سأخبرك يا عزيزتى .. سأخبرك بكل شىء .

* * *



٧ — المنـــاورة ..

« هرب من السجن » ..

صرخت (سونيا) بهذه العبارة ، فى مزيج من الذهول والرُعب ، وشحب وجهها فى شدّة ، وهى تهتف مردفة :

— هذا يعنى أنه سيقاتل فى شراسة هذه المرّة .. لقد أدرك أنه بات طريد الجميع ، وسيقلب الأمور ليتحوّل من الدفاع إلى الهجوم الشرس ، هذه هى طبيعته .

هتف بها (مارسيل) فى صرامة :

— كفى يا (برجيت) .. إنك تثيرين حَنَقى بفزعك هذا .. هل نسيت أننى أقوى رجل فى (فرنسا) ؟ وأنه لم يُخلق بعد من يهزم (مارسيل بيكر) ؟

ارتعد جسد (سونيا) ، وهى تصرخ فى عصبيّة :

— كفى غرورًا يا (مارسيل) .. ألق عن عينيك تلك الغشاوة التى تمنعك رؤية قدرات خصمك .. لو أراد (أدهم صبرى) أن يظفر بك لفعل ، حتى ولو اختفيت فى مصباح (علاء الدين) ، وأحطت نفسك بأسوار من نار .

صرخ (مارسيل) فى غضب :

— كفى يا (برجيت) .

ابتسمت (كلوديا) فى تلذّذ ، وهى تنفث دُخان سيجارتها ولم ترد على أن غمغمت فى خفوت :

— يا له من رجل !!

التفت إليها (مارسيل) ، هاتفًا فى حِدّة :

— كفى أنت أيضًا يا (كلوديا) .

ثم لوّح بذراعه ، قائلًا فى عصبية :

— لا تنسيا أننى (مارسيل بيكر) .. ملك العصابات .

سألته (سونيا) فى حِدّة مماثلة :

— وماذا تنوى أن تفعل يا ملك العصابات ، بعد أن أصبح خصمك طليقًا ؟

عقد (مارسيل) حاجبيه ، وهو يقول :

— سأستغل قدرات هذا الرجل لصالحى .

ثم أردف فى اهتمام وعصبية :

— إذا كان يريد أن ينالنا حقًا ، فلابدّ له من مهاجمتنا ، وسيعنى هذا أن يواجهنا إن عاجلًا أو آجلًا ، وكل ما علينا أن نفعله هو أن نستعد ، وننتظر .

غمغمت (سونيا) فى سخرية :

— يالها من خطّة بارعة !!

تجاهل (مارسيل) لهجتها السّاخرة ، وهو يردف في مزيج من الصرامة والحنق :

— وسنبدأ بتطبيق القاعدة المعروفة : « لا تضع البيض كله في سلة واحدة » ، وهذا يعني أن يفترق ثلاثتنا ، فيقيم كل منا في منزله ، ونحيط المنازل الثلاثة بأكبر قدر من الحراسة والمراقبة ، مع إصدار الأوامر بقتل (أدهم صبرى) هذا فور رؤيته .

عادت (سونيا) تغمغم :

— لن يكفى هذا .

مرّة أخرى تجاهلها (مارسيل) ، وهو يستطرد :

— وفي نفس الوقت سيستمر رجالى في البحث عنه ، بالإضافة إلى جهود رجال الشرطة ، التي ستكثّف ولاشك ؛ بحثًا عن المصرى الذى نجح في الفرار من السجن .

مطّت (سونيا) شفتيها ، وهي تغمغم :

— أتعشّم أن ينجح كل هذا .

صاح (مارسيل) في غضب :

— ماذا أصابك يا (برجيت) ؟.. إنه مجرّد رجل واحد !

هتفت (سونيا) في حدّة :

— رجل واحد نجح في الفرار منك أكثر من مرّة ، وفي تجاوز كل المخاطر التي تعرّض لها حتى الآن يا (مارسيل) .. رجل واحد يساوى جيشًا كاملًا .

صاح (مارسيل) :

— فليساوِ حتى دولة بأكملها .. إنه لن يفلت من بين يدىّ هذه المرّة يا (برجيت) .

ثم أردف بكل ما يحمل في نفسه من حنق ومرارة :

— ستكون هذه هي الجولة الأخيرة ، في صراعنا مع ذلك الشيطان المصرى .

* * *

اعتدل موظف الاستقبال في ذلك الفندق الفاخر ، الذى يطلّ على برج (إيفل) في قلب (باريس) ، في احترام ، أمام ذلك الرجل الوقور ، الأشيب الفَوْدَين ، الذى تأمّله من خلف منظاره الطبىّ ، قبل أن يقول في هدوء ، وبإنجليزية سليمة ، لا يرقى إليها الشك :

— أريد حجرة في الطابق الثالث ، تطلّ على برجكم الشهير مباشرة .

أجابه الموظف فى احترام :

ــ يؤسفنى ألا توجد حجرات خالية فى الطابق الثالث ياسيِّدى .. ولكن لدىّ جناح فاخر فى الطابق الرابع ، يمكنك من نافذته رؤية أجمل مشهد للبرج .

مطّ الإنجليزى الوقور شفتيه ، وهو يقول فى أسف :

ــ لا بأس .. سنكْتفى بالموجود .

ثم دفع أمام الموظف برزمة تحوى عشرة آلاف فرنك فرنسىّ ، وهو يستطرد فى هدوء :

ــ هل يكفى هذا المبلغ كدفعة مقدّمة ؟ .. إننى أنوى البقاء لأسبوع كامل .

هتف موظف الاستقبال فى دهشة واحترام :

ــ إنه يزيد كثيرًا ياسيِّدى ، فلن يتجاوز إيجار الجناح فى الأسبوع سبعة آلاف فرنك و .....

قاطعه الإنجليزى فى لامبالاة :

ــ حسنًا احتفظ بالباقى .

سال لُعاب موظف الاستقبال ، وتطلّع فى توقير إلى الرجل الذى منحه ثلاثة آلاف فرنك دفعة واحدة ، وهتف فى فرح لم يحاول إخفاءه :

ــ أوه .. شكرًا جزيلًا ياسيِّدى .

وأسرع يخرج دفتره ، ليسجّل اسم النزيل ، وهو يقول :

ــ هل تسمح لى بجواز سفرك ياسيِّدى المحترم ؟

أجابه الإنجليزىّ فى هدوء :

ــ سيصل سكرتيرى الخاصّ بعد ساعة واحدة ، حاملًا الحقائب وجواز السفر .

كان القانون الفرنسى يحتّم وجود جواز السفر بالنسبة للأجانب ، إلّا أن موظف الاستقبال خشى أن يفقد تلك الهبة ، التى تفُوق مرتبه فى شهر كامل ، فأسرع يقول مبتسمًا :

ــ لاعليك ياسيِّدى .. سأكتفى بتوقيعك ، وسأكمل البيانات اللازمةُ عند وصول سكرتيرك الخاص .

ابتسم الإنجليزى ، وتناول القلم ليوقّع باسمه ، وهو يقول فى هدوء :

ــ يرُوق لى أسلوب معاملتكم هنا .. أعتقد أننى سأقيم فى فندقكم فى كل مرّة أزور فيها (باريس) .

هتف الموظف فى حرارة :

ــ على الرّحب والسّعة ياسيِّدى المحترم .

* * *



وطَوَّحَ بجسده مرّتين ، ثم أفلت من الحاجز ، وقفز ليستقر فوق الحاجز الخارجى لنافذة الحجرة ويحفظ توازنه فى مهارة ورشاقة ..

لم يكد الإنجليزى ، الذى لم يكن سوى (أدهم صبرى) ، يستقر فى جناحه الفاخر ، فى الطابق الرابع ، حتى أسرع إلى نافذة الجناح الضخمة ، وتطلّع منها إلى الطابق الثالث ، حيث حجرته الأولى فى نفس الفندق ، ثم خلع معطفه ، وألقاه بإهمال على مقعد قريب ، وتسلّق النافذة ليقف على الحاجز الضيق خارجها ، وتحرّك فوقه فى خِفّة وسرعة ، ملصقًا ظهره بحائط الفندق ، حتى أصبح فوق حجرته الأولى تمامًا ، وهنا مال بجسده فى مرونة ، وأمسك الحاجز بكفّيه ، ثم ألقى جسده ليتدلّى إلى الطابق الثالث ، أمام نافذة الحجرة ، وطَوَّحَ بجسده مرّتين ، ثم أفلت من الحاجز ، وقفز ليستقر فوق الحاجز الخارجى لنافذة الحجرة ، ويحفظ توازنه فى مهارة ورشاقة ، ثم شرع يعالج النافذة حتى فتحها ، وقفز داخل الحجرة ، واتجه فى خطوات سريعة إلى حيث ترك حقيبة أدوات تنكُّره ، والتقطها ليفحصها فى عناية ، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يغمغم :

— كم ستشعر بالندم ، لأنك لم تعدم هذه الحقيبة يا عزيزى (مارسيل) .

* * *

كانت عقارب الساعة تشير إلى العاشرة مساءً ، حينما اقتحمت سكرتيرة (آلان لوبس) ، المحامى الخاص لـ (مارسيل بيكر) حجرته ، وهى تقول فى خفة :

— مسيو (آلان) .. إن مسيو (مارسيل) يطلب رؤيتك .

هتف (آلان) وهو ينهض من مقعده ، ويلتقط معطفه بسرعة :

— هل هناك أمر خطير ؟.. سأذهب إليه على الفور .

قالت السكرتيرة فى صوت لاهث :

— إنه هنا يا مسيو (آلان) .

اتسعت عينا (آلان) فى دهشة ، وهو يهتف :

— هنا ؟!

ثم استدرك فى سرعة :

— وكيف جعلته ينتظر فى الخارج أيتها الغبية ؟.. سأستقبله على الفور .

جاءه صوت (مارسيل) ، وهو يقول فى هدوء :

— أنا الذى طلبت منها أن تخبرك أوّلًا يا عزيزى (آلان) .

كان يقف بباب الحجرة متأنقًا كعادته ، مرتديًا حُلّة بيضاء

أنيقة ، وقفازين قصيرين من الجلد الأبيض ، وشعره الأسود الناعم الكثيف مصفّف فى عناية ، ليزيد من وسامة ملامحه ، فأسرع إليه (آلان) يصافحه فى حرارة ، وهو يقول فى ارتباك :

— مرحبًا بك فى مكتبى أيها الزعيم .. معذرة .. فلقد أربكنى حضورك ؛ لأنك لا تفعل هذا إلّا فيما ندر ، فقد اعتدت أن أذهب أنا إليك ، أو تحادثنى هاتفيًّا .

صافحه (مارسيل) فى برود ، دون أن يخلع قفّازه ، كما تقتضى أصول اللياقة ، ثم جلس فوق مقعد قريب ، ووضع إحدى ساقيه فوق الأخرى ، وهو يقول :

— كان الأمر هذه المرّة يحتاج إلى قدومى شخصيًّا يا (آلان) .

أسرع (آلان) يستقرّ خلف مكتبه ، وهو يسأله فى قلق :

— ماذا هناك أيُّها الزعيم ؟

أشعل (مارسيل) واحدة من سجائره ، ونفث دُخانها فى بطء وهدوء ، قبل أن يقول :

— أريد كل أوراق العمليات السرّيّة ، التى أحتفظ بها هنا .

اتسعت عينا (آلان) عن آخرهما ، وهو يهتف :

ــ كل الأوراق ؟!..

وخامره خاطر مزعج ، جعله يستطرد فى جزع :

ــ هل تنوى إيقاف تعاملك معى يا مسيو (مارسيل) ؟.. إننى لم أقصّر فى عمل أبدًا ، لقد استصدرت صباح اليوم قرارًا بالإفراج عن (ماريان) و (سينيوريه) ، على الرغم من تقرير رجال الشرطة بالعثور على المدفع الرشّاش بحوزتيهما ، ولم أفرّط يومًا فى ورقة واحدة من أوراقك السّرّيّة ، على الرغم من أنّ ما تحويه يكفى لإلقاء نصف رجالك فى غياهب السجون و.....

قاطعه (مارسيل) فى صرامة :

ــ وإلقائى أنا أيضًا إلى جوارهم يا (آلان) .. أليس هذا ما تريد قوله ؟

شحب وجه (آلان) ، وهو يقول :

ــ لا يمكننى أن أفعل هذا أيها الزعيم .. أنت تعلم أنه لا يمكننى .. فذهابك إلى السجن يعنى نهاية عمل أيضًا ، فالإدانة تشمل كلينا على حد سواء و.....

عاد (مارسيل) يقاطعه فى حِدّة :

ــ كفى أيها الغبىّ .. إننى لا أنوى إيقاف تعامل معك

أبدًا ، ولكننى أواجه الآن خصمًا شيطانيًا ، يملك قدرات تفوق أبشع كوابيسك ، ولست أحبّ أن أترك له ثغرة واحدة ، ينفذ من خلالها إلىّ .

أشار (آلان) إلى الجدار المجاور لمكتبه ، وهو يقول :

ــ ولكن أوراقك هنا فى مأمن يا مسيو (مارسيل) ، فأنت تعلم أن خزانتى السّرّيّة منيعة للغاية ، وحتى الشيطان نفسه لا يمكنه أن .....

قاطعه (مارسيل) فى صرامة باردة :

ــ سأشعر بالمزيد من الأمان ، إذا ما احتفظتُ بالأوراق فى مسكنى ، فى هذه المرحلة بالذّات .

حدّق (آلان) فى وجهه بحَيْرة ، ثم لم يلبث أن غمغم فى استسلام :

ــ كما تشاء يا مسيو (مارسيل) .. كما تشاء .

ونهض من خلف مكتبه ، فاستوقفه (مارسيل) ، قائلاً فى صرامة :

ــ اصرف سكرتيرتك أوّلاً يا (آلان) .. قلت لك إننى لا أنوى ترك ثغرة واحدة .

ــ كان (آلان) يثق فى سكرتيرته (جاكلين) ثقة عمياء،

خاصة أنها لن تجد أبدًا عملًا ، يدرّ عليها ذلك الدخل الضخم ، الذى تحصل عليه من العمل فى مكتبه ، إلّا أنه كان يعلم مدى حذر وصرامة (مارسيل) ، فيما يخص بوسائل الأمن والسرّيّة ، فضغط زرّ (الديكتافون) الموضوع فوق مكتبه ، فى استسلام ، وهو يقول :

— (جاكلين) .. يمكنك أن تنصرفى الآن .. سأبقى بعض الوقت مع مسيو (مارسيل) .

أجابته (جاكلين) فى هدوء :

— كما تأمر يا مسيو (آلان) .

ابتسم (مارسيل) ، وقال :

— والآن أحضر الأوراق .

اتجه (آلان) إلى حائط المكتب المجاور ، وتحسّس نقوش لوحة زيتية أنيقة ، ثم ضغط أحد أجزائها فى رفق ، فتحرك جزء من الحائط المقابل فى هدوء ، كاشفًا خزانة فولاذية قويّة ، اتجه إليها (آلان) ، ودار بسبّابته على حافتها بعض الوقت ، ليوقف عمل جهاز الإنذار السرّىّ المتصل به ، ثم ضغط بعض الأزرار المثبّتة على بابها فى تتابع مدروس ، فتحرّك باب الخزانة ، وكشف عن فجوة تمتلئ بالأوراق النقديّة والحلىّ والمجوهرات ،

والتقط هو منها ملفًا ضخمًا ، ناوله إلى (مارسيل) ، وهو يقول :

— هاهى ذى كل الأوراق يا مسيو (مارسيل) ، وأتعشّم أن تكون قد اصطحبت ثلّة من الرجال لحمايتك ، فمن الخطر أن تحمل هذه الأوراق وحدك و .....

قاطعه صوت ساخر ، يختلف تمامًا عن صوت (مارسيل) ، وهو يقول :

— اطمئن أيها الوغد .. أنا لا أحتاج إلى حماية .

تراجع (آلان) فى حركة حادّة قويّة ، كمن أصابته صاعقة ، وتدلّى فكّه السفلىّ فى بلاهة ، واتسعت عيناه فى جحوظ ، وهو يحدّق فى وجه (مارسيل) ، قبل أن يهتف فى فزع وذهول هائلين :

— ولكن .. ولكنك لست (مارسيل بيكر) .

أجابه (أدهم) ، الذى ينتحل شخصية (مارسيل) فى براعة مذهلة :

— بالطبع أيها الوغد .. أنا لست (مارسيل) .

حاول (آلان) أن ينفض ذهوله ، وأن يصرخ مستنجدًا ،

ولكن لكمة (أدهم) القوية أخرسته على الفور ، فسقط ليرتطم بمقعد كبير ، ويهوى فاقد الوعى ، فى حين ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (أدهم) ، وهو يقول :

— والآن إلى الخطوة الثانية .

* * *



٨ — فى قلب الهدف ..

دخل الجاسوس ، الذى ينتحل شخصية اللواء (حسن الصدور) ، فى خطوات هادئة ، بهو ذلك الفندق الفاخر فى قلب (القاهرة) ، الذى شهد عرض الأزياء الأنيق ، الذى أقامته (كلوديا موريس) وهو يرتدى نفس الحُلة البنية الأنيقة ، التى كان يرتديها اللواء (حسن) ليلة العرض ، والتى ترك النبيذ بقعة واضحة على سترتها ، واتخذ لنفسه ركنًا جانبيًا ، وراح يطالع صحيفة مسائية فى هدوء ، دون أن يلتفت إلى ذلك الرجل من نزلاء الفندق ، الذى جلس على مقعد مجاور له ، وانهمك بدوره فى مطالعة مجلة فرنسية شهيرة ..

واستغرق كل منهما فى مطالعته بعض الوقت ، ثم دسّ الرجل الآخر بين شفتيه سيجارة ، من نوع فرنسىّ شهير ، وحاول إشعالها بقدّاحته الذهبية الأنيقة بلا جدوى ، مما جعله يلتفت إلى الجاسوس ، ويسأله فى لهجة مهذّبة عمّا إذا كان يحمل ما يشعل به سيجارته ، فما كان من الجاسوس إلّا أن التقط من جيبه قدّاحة ذهبيّة ، مماثلة تمامًا لقدّاحة الرجل ، وأشعل بها سيجارة هذا الأخير ، ثم وضعها فوق المنضدة المجاورة ، إلى

جوار قداحة الرجل الفارغة ، وعاد كل منهما لمطالعة ما بين يديه فى اهتمام وانهماك ، حتى انتهى الرجل الآخر من تدخين سيجارته ، فأطفأها فى المنفضة الصغيرة ، الموضوعة فوق المنضدة ، ثم التقط قداحة الجاسوس ، ودسَّها فى جيبه ، ونهض وهو يكرِّر شكره للرجل ، واتجه إلى خارج الفندق فى هدوء ..

وارتسمت ابتسامة ارتياح على شفتى الجاسوس ..

لقد سلَّم الميكروفيلم ، الذى يحوى صور التعديلات الجديدة للـ (تايجر شارك) ، ولم يعُد أمامه سوى استعادة شخصيته ، والرحيل بجواز سفره الخاص ..

لقد كانت عملية رائعة ..

وناجحة ..

* * *

أشارت عقارب الساعة إلى الحادية عشرة والنصف مساءً ، حينما توقَّفت سيَّارة (آلان لويس) أمام فيلَّا (مارسيل بيكر) ، فى تلك الضاحية الهادئة من ضواحى (باريس) ، وأطلَّ هو منها بعين متورِّمة ، وأنف مغطَّى بالضمادات ، ووجه مضطرب ، وهو يقول لحارس البوابة :

— أريد مقابلة مسيو (مارسيل) .. أخبره أن الأمر عاجل ، وبالغ الخطورة .

كان من الواضح أن (مارسيل) يحيط نفسه بحراسة شديدة مكثَّفة ، هذا المساء بالذات ، فقد كان هناك أكثر من عشرين رجلًا ، يحملون المدافع الرشاشة ، ويحيطون بالفيلَّا ، ولقد بدا ذلك الحارس ، الذى حدَّثه (آلان) شديد الصرامة ، وهو يقول فى خشونة :

— مسيو (مارسيل) لا يسمح بأية زيارات هذه الليلة .

صاح (آلان) فى غضب :

— أخبره أنه أنا ، عليك اللعنة .. إن الأمر الذى أتيت من أجله بالغ الخطورة ، لا يحتمل التأخير للحظة واحدة ، وسأحمِّلك المسئولية لو لم .....

قاطعه الحارس فى خشونة :

— كفى يا مسيو (آلان) .. سأخبره بأنك هنا ، وعليه هو أن يتخذ القرار .

ثم التقط جهاز لاسلكى صغيرًا من حزامه ، وضغط زرَّه ، وهو يقول :

— مسيو (آلان لويس) هنا أيها الزعيم ، ويصرّ على مقابلتك ، ويقول إن لديه أمرًا عاجلًا ، بالغ الخطورة .

وعقد الحارس حاجبيه ، وهو يستمع إلى جواب زعيمه ، ثم ناول الجهاز إلى (آلان) ، وهو يقول :

— إنه يريد التحدُّث إليك .. الزِّرّ الأحمر يجعله يسمعك ، والأخضر يجعلك تسمعه .

اختطف (آلان) الجهاز الصغير ، وضغط الزرّ الأحمر ، وهو يقول :

— مسيو (مارسيل) .. أريد مقابلتك للضرورة القصوى .. لقد زار الرجل المدعو (أدهم صبرى) مكتبى .

ثم ضغط الزرّ الأخضر ، ليسمع (مارسيل) ، وهو يهتف فى غضب :

— زار مكتبك ؟!.. وماذا فعل أيها التعس ؟

ارتبك (آلان) ، وهو يضغط الزرّ الأحمر ، قائلًا :

— إنه أمر أخطر من أن أبلغك به هكذا يا مسيو (مارسيل) ؛ من الضرورى أن ألتقىَ بك ، وحدنا .

وعاد يضغط الزرّ الأخضر ، ويستمع إلى (مارسيل) ، وهو يصرخ فى سخط هائل :

— عليك اللعنة !! أعطنى حارس البوّابة .

ناول (آلان) الجهاز لحارس البوّابة ، وهو يقول :

— إنه يريدك .

التقط الحارس الجهاز ، واستمع إلى زعيمه فى اهتمام ، ثم قال لـ (آلان) :

— غادر سيارتك يا مسيو (آلان) .

غادر (آلان) سيّارته ، ورفع ذراعيه ليسمح للحارس بتفتيشه جيّدًا ، قبل أن يقول :

— سيقودك (مارتان) إلى الزعيم .

تبع (آلان) (مارتان) عَبْرَ ممرّات متشابكة ، معقّدة ، حتى توقّفا أمام حجرة لها باب خشبى سميك ، مزدان بنقوش تعود إلى القرن الثامن عشر ، ودقّ (مارتان) باب الحجرة دقتين ، ثم قال :

— مسيو (آلان) أيّها الزّعيم .

ودفع الباب ، وأشار لـ (آلان) بالدخول ، ثم أغلق الباب خلفه ، ووقف أمامه ممسكًا بمدفعه الرشاش فى تحفّز .

أمّا فى داخل الحجرة ، فقد نهض (مارسيل) من مقعده ، أمام شاشة سينمائية تعرض فيلمًا أمريكيًا قديمًا ، وأضاء الحجرة وهو يستقبل (آلان) معقود الحاجبين ، صائحًا فى قسوة وصرامة ، وهو يشير إلى عينَى (آلان) المتورّمة .

— أهو (أدهم صبرى) الذى فعل بك هذا ؟
أجابه (آلان) فى اضطراب واضح :
— كنت على استعداد لاحتمال أضعاف هذا ، لو أنه لم يحصل على ما حصل عليه يا مسيو (مارسيل) .
اتسعت عينا (مارسيل) فى ذعر ، وجذب إليه (آلان) من سترته فى قسوة ، وهو يصرخ فى وجهه :
— ما الذى حصل عليه يا (آلان) ؟.. لو أنه حصل على الأوراق فسوف .....
قاطعه (آلان) فى صوت أقرب إلى البكاء :
— نعم .. لقد حصل عليها يا مسيو (مارسيل) .
جحظت عينا (مارسيل) فى ذهول ورعب ، وصرخ كالمجنون :
— أيها الغبىّ الحقير .. سأقتلك جزاء هذا .. أين ذهبت خزائنك المنيعة ؟.. كيف نجح فى سرقتها ؟
صاح (آلان) :
— لقد جاءنى منتحلاً شخصيّتك يا مسيو (مارسيل) .
صرخ (مارسيل) فى ثورة ، وهو يدفعه بعيدًا عنه فى قسوة :

— أولم يمكنك أن تفرّق بيننا أيها الغبىّ ؟.. هل تعلم ما يعنيه حصوله على الأوراق ؟.. إنه يَعْنى ضرورة فرارى من (فرنسا) كلها ، وفى أسرع وقت ممكن ، قبل أن تصل الأوراق إلى الشرطة .
سأله (آلان) فى اضطراب :
— وأين تذهب يا مسيو (مارسيل) ؟
حَدَجَهُ (مارسيل) بنظرة ناريّة ، وهو يقول فى غضب هائل :
— إلى (سويسرا) أيها الغبىّ .. هل نسيت أننى أمتلك عدة ملايين من الفرنكات ، فى أحد بنوكها السرّيّة ؟
ثم دقَّ على سطح مكتبه فى ثورة ، وهو يردف فى سخط :
— ولكن كيف خدعك بانتحاله شخصيّتى ؟.. أأنت من الغباء حتى لم تتبيّن أنه زائف ؟
خُيِّل إلى (مارسيل) أن صوت (آلان) قد شابته السخرية ، وهو يقول :
— إنه يجيد التنكّر فى براعة فائقة يا مسيو (مارسيل) .
التفت إليه (مارسيل) فى حركة حادّة ، وحدّق فيه فى توتّر ، ثم غمغم وهو يتراجع فى ذُعر :



وامتلأت عروق (مارسيل) ، ملك العصابات ، بفزع هائل ، وهو يجد نفسه مهزومًا مدحورًا فى قلب وكره ، بين ذراعى (أدهم) ..

— (آلان) .. إنك تبدو مختلفًا .. نعم .. إنك أطول قامة مما أنت عليه فى الواقع .. لقد شغلنى ذلك الحبر الذى حمّله ، وذلك الورم فى عينيك عن ملاحظة ذلك منذ البداية .. إنك لست (آلان) .. إنك .....

قفزت سبّابته قبل أن يتم عبارته إلى زر الإنذار الخاصّ ، الذى يستقر فوق مكتبه ، ولكن الدماء تجمّدت فى عروقه ، حينما رأى (آلان) يثب نحوه كفهد شرس ..

* * *

لم يستغرق الأمر من (أدهم) أكثر من لحظة واحدة ، فلقد وثب نحو (مارسيل) ، وهو فى هيئة (آلان) ، ولكمه لكمة قويّة على فكّه ، جعلت (مارسيل) يندفع إلى الخلف فى قوّة ، وقبل أن يسترجع توازنه ، أو يسيطر على فزعه وذُهوله ، كان (أدهم) يلكمه لكمة قويّة فى معدته ، ثم يحيط عنقه بذراعه الفولاذية فى قوّة ، ويلصق فُوّهة مسدّسه بجبهته ..

وامتلأت عروق (مارسيل) ، ملك العصابات ، بفزع هائل ، وهو يجد نفسه مهزومًا مدحورًا فى قلب وكره ، بين ذراعى (أدهم) ، الذى يستطيع بضغطه بسيطة علىّ زناد

مسدسه أن يقتله ، فذهب غروره ، وضاعت جُرأته ، وهو يهمس فى صوت متوسّل ضارع :

ــ مسيو (أدهم) .. أرجوك .. سأدفع لك خمسة ملايين فرنك ، مقابل حياتى .

أجابه (أدهم) فى لهجة ساخرة ، تحمل قدرًا من الصَّرامة يثير الفزع :

ــ لافائدة يا ملك الأوغاد .. لقد انتهت اللُّعبة ، وخسرتها أنت حتى الثُّمالة ، ولم يَعُد هناك مجال للتوسُّل والرَّجاء .

كاد (مارسيل) يبكى ، وهو يقول :

ــ أرجوك يامسيو (أدهم) .. إننى أحب الحياة .. سأرفع المبلغ إلى عشرة ملايين .. بل عشرين ..

قاطعه (أدهم) فى ازدراء :

ــ اطمئن أيها الحقير .. إننى لا أنوى قتلك .. سأترك تلك المهمة للقضاء الفرنسى .. فلقد حصلت على مستندات تكفى ، لأن يضعوك على المقصلة ، عشر مرّات على الأقل ، وستقدّم زميلتى تلك المستندات للنائب العام الفرنسى بعد ساعة واحدة .

وامتلأت لهجته بالسُّخرية ، وهو يستطرد :

ــ هل تعلم لماذا لم أقدّم هذه المستندات على الفور ؟.. ولماذا أنتظر ساعة أخرى كاملة ؟

تخيّل لـ (مارسيل) أنه قد أدرك غرض (أدهم) ، فهتف فى توسُّل :

ــ سأدفع أىّ مبلغ تطلبه ، مقابل هذه المستندات يا مسيو (أدهم) ؟

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، قبل أن يقول :

ــ أخطأت فهم مقصدى أيها الوغد .. فمن المستحيل على الأوغاد أمثالك ، أن يدركوا وجود أى قوم شرفاء فى هذا العالم .. لقد أجّلت تسليم هذه المستندات للنائب العام الفرنسى ؛ لأننى لا أريد أن يبدأ رجال الشرطة مطاردتك ، قبل أن أنتهى من الاستفادة الكاملة من انتحالى شخصيتك ، فلقد أدركت أنك الشخص الوحيد الذى يمكنه اختراق كل نطاقات الأمن ، التى أحكمت بها الحصار حول منزل (سونيا) ، ومنزل (كلوديا) ، وأنا أنوى إنهاء العملية كلها قبل فجر الغد .

غمغم (مارسيل) فى ألم :

ـــ أرجوك يامسيو (أدهم) .

وجاء جواب (أدهم) على هيئة لكمة كالقنبلة ، أخرست (مارسيل) ، وأفقدته وعيه على الفور .. وهنا أسرع (أدهم) ينزع عن وجهه ذلك القناع ، الذى يحمل وجه (آلان) ، فإذا به يحمل أسفله ذلك القناع الآخر ، الذى يبدو كنسخة طبق الأصل من (مارسيل بيكر) ، وشرع يبدّل ثيابه بثياب (مارسيل) ، ثم اعتدل وصفّف شعره فى عناية كعادة (مارسيل) ، وانحنى يثبّت قناع (آلان) على وجه (مارسيل) ، ثم اتجه إلى باب الحجرة فى هدوء ، وفتحه ، وقلّدت حنجرته المَرِنة صوت (مارسيل) فى براعة مذهلة ، وهو يقول لـ (مارتان) :

ـــ لقد خاننا ذلك الوغد ، وحاول الفرار ، ولكننى أفقدته وعيه .

تطلّع (مارتان) إلى (مارسيل) ، الذى يحمل الآن وجه (آلان) ، فى دهشة ، وهو يغمغم :

ـــ مسيو (آلان) خائن ؟!

أجابه (أدهم) بصوت (مارسيل) وصرامته :

ـــ نعم .. أريد منك أن تقيّده ، وتكمّم فمه فى إحكام ، وابقَ خارج الحجرة لحراسته حتى أعود .

استعدّ (مارتان) لتنفيذ الأمر ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـــ إلى أين أيها الزعيم ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـــ إننى أشعر برغبة قويّة فى زيارة عزيزتنا (برجيت) .

وارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتيه ، وهو يردف :

ـــ رغبة قويّة للغاية .

* * *



٩ — الثَّمـن ..

توقفت سيارة (مارسيل بيكر) الفاخرة ، أمام البناية التى تقيم فيها (سونيا جراهام) ، فى منتصف الليل تمامًا ، وهبط منها (أدهم) ، وهو يحمل وجه (مارسيل) ، وأناقته المفرطة ، وأسرع إليه أحد رجال (مارسيل) ، يستقبله فى حرارة ، هاتفًا :

— مرحبًا بك أيها الزعيم .. كل شىء هنا على ما يرام .

تجاهله (أدهم) ، وهو يتقدم نحو مصعد البناية الكبير ، ثم لم يلبث أن توقف ، وهو يقول للرجل :

— مُرْ كل الرجال بالتجمع هنا ، حتى أصدر إليكم أوامر أخرى ..

سأله الرجل فى دهشة :

— حتى هؤلاء الذين يقومون على حراسة شقة مدموازيل (برجيت) فى أعلى .

أجابه (أدهم) فى صرامة واقتضاب :

— الجميع .

ثم دلف إلى المصعد ، وأغلقه خلفه ، ووقف داخله

هادئًا ، وهو يصعد به إلى الطابق العلوى ، حتى منزل (سونيا) ، حيث توقف ، وغادره (أدهم) ، واتجه فى خطوات سريعة إلى باب المنزل ، وقرع الجرس فى هدوء ، ولم تمض لحظات حتى فتحت (سونيا) الباب ، وتطلعت إليه فى حنق ، وهى تقول :

— ماذا يعنى كل هذا يا (مارسيل) ؟.. لماذا أمرت كل رجالك بالتخلى عن حراستى ، والانتظار أسفل البناية .

دفعها (أدهم) عن طريقه فى خشونة ، وتقدم إلى المنزل ، وأغلق بابه خلفه ، وهو يقول فى برود :

— إنك تقيمين فى (الشانزليزيه) يا عزيزتى (برجيت) ، ولن يجرؤ (أدهم صبرى) على اقتحام منزل أنيق ، فى أشهر أحياء (باريس) .

لوّحت بذراعها ، وهى تقول فى حنق :

— هل ينبغى أن ألقى نفسى من الطابق العاشر ، حتى تقتنع بأن (أدهم صبرى) لا يتردد عن اقتحام منزل رئيس الجمهورية الفرنسية نفسه ؟

ارتجف جسدها فى رعب هائل ، حينما استعاد (أدهم) صوته الأصلى ، وهو يقول فى سخرية :

— لا داعي لذلك يا عزيزتي (سونيا) ، إنني أصدّقك .

تراجعت (سونيا) ، واتسعت عيناها في رُعب ، وهي تحدّق في أذني (أدهم) ، وتهتف في صوت مختنق :

— إذن فهو أنت !!.. كان ينبغي أن أتوقّع ذلك .. كان ينبغي أن ......

وبترت عبارتها فجأة ، وهي تقفز نحو باب منزلها ، محاولةً الفرار ، ولكن (أدهم) جذبها من شعرها الأشقر الطويل في قوّة ، جعلتها تصرخ ألمًا ، وهو يقول في هدوء وسخرية :

— كلّا يا عزيزتي (سونيا) .. لست أنوي ممارسة لُعبة الاستخفاء والفرار هذه الليلة .

استدارت إليه (سونيا) في شراسة ، وطوّحت بقدمها لتركله ، في واحدة من حركات رياضة (الكاراتيه) ، ولكنه قفز إلى الخلف ، متخليًا عن شعرها ، وهو يضحك قائلًا :

— ولست أرغب في مزاولة هذه الرياضة أيضًا .

زمجرت (سونيا) في وحشيّة ، بدت شديدة التناقض مع فتنتها ، وانقضّت عليه ، وهي تهوى على عنقه بضربة قويّة من راحتها ، ولكنه تلقّى الضّربة على ساعده في بساطة ، ثم دار على عقبيْه في مرونة ، وغاص جسده إلى أسفل ، مفاديًا ضربةً

أخرى في براعة ، ثم انتصب فجأة وصفع (سونيا) على وجهها صفعة قويّة ، ألقتها ثلاثة أمتار إلى اليسار ، وهي تصرخ في ألم ، وأرادت أن تنهض في سرعة ، ولكنها فوجئت بـ (أدهم) يكبّل معصميها بقبضته ، ويلوى ذراعيها خلف ظهرها في قوّة ، وهو يقول في سخرية :

— معذرةً يا عزيزتي (سونيا) ، إنني أكره استخدام القوّة مع النساء ، ولكنني مضطر لتقييد معصميك ، وتكميم فمك الجميل .

قاومت (سونيا) في شراسة ، وهي تصرخ في حنَق ومرارة ، وحاولت أن تميل بجسدها لتركلَ وجه (أدهم) ، ولكنه أرجع رأسه إلى الوَراء مفاديًا رَكلتها ، وهو يقول ضاحكًا :

— محالٌ يا عزيزتي (سونيا) .. إنني أزاول رياضة (الكاراتيه) قبل أن تلدك أمُّك ، ومحاولاتك تبدو لي مضحكة .

شعرت بعجزها عن مقاومته ، وهو يقيّد معصميها في قوّة بحبل غليظ ، فقفزت دموع الهزيمة من عينيها ، وهي تصرخ في سُخط ومَرارة :



شعرت بعجزها عن مقاومته ، وهو يقيِّد معصميها فى قوة
بحبل غليظ ، فقفزت دموع الفزعة من عينيها ..

— أيها الحقير .. أيها الوَغد .

ابتسم فى سُخْرِيَة ، وهو ينتقل ليقيِّد قدميها ، قائلًا :

— ليس من اللّياقة أين يسبّ المرء فاتنة مثلك ياعزيزتى (سونيا) ، على الرغم من فظاظة ألفاظك .

صاحت فى سخط :

— لن يسمح لك (مارسيل) بالفرار ، بعد أن انتحلت شخصيته .

نهض بعد أن انتهى من تقييد قدميها ، وابتسم وهو يقول ساخرًا :

— لقد انتهى (مارسيل بيكر) ياعزيزتى (سونيا) .. ستلقى الشرطة الفرنسية القبض عليه ، بعد أن يتسلَّم النائب العام هنا كل المستندات التى تُدينه .. وأراهنك أن القضاء الفرنسىّ سيضطر للحكم بإعدامه بالمِقْصلة ، ما دامت لا توجد عقوبة تفوق ذلك .

اتسعت عينا (سونيا) فى ذُعر وذهول وألم ، وهى تهتف :

— ياللشيطان !!

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

— إنه ثمن عادل ياعزيزتى (سونيا) ، فلقد ارتكب هذا

الوغد من الجرائم ، ما يثقل ضمير أمّة بأكملها ، دون أن يدفع الثمن مرّة واحدة .

واختفت ابتسامته ، وهو يردف في صرامة :

— أمّا أنتِ يا عزيزتي (سونيا) ، فلقد أعددت لك نهاية أكثر أناقة .

حدّقت (سونيا) في وجهه في رُعب ، واختفت الكلمات في حلقها ، فلم تنبس بحرف واحد ، في حين استطرد هو في برود :

— سيتلقّى مكتب مكافحة الجاسوسية الفرنسيّ ، بعد نصف ساعة فقط ، كل الوثائق التي كان يحتفظ بها مكتبنا هنا ، والتي تثبت أنك واحدة من أفراد (الموساد) ، والتي تثبت أيضًا تورُّطك في عملية (موسكو) ، وأعتقد أنها ستكفي لإلقاء القبض عليك ، ومحاكمتك بتهمة التجسُّس في (باريس) ، خاصّة حينما تكشف الوثائق أنك تقيمين هنا باسم مزوَّر وشخصيّة مزيّفة .

هتفت في صوت مختنق :

— ولكنني لم أعد أنتمي لـ (الموساد) .

هزّ كتفيه في لامبالاة ، وهو يقول :

— عليك أن تبذلي أقصى جهدك ، لإثبات ذلك يا عزيزتي (سونيا) .. فسيعتصرك رجال مكتب مكافحة الجاسوسية اعتصارًا .

طفرت الدموع من عينيها غزيرة ، وهي تقول :

— أيها الشّيطان !

عاد يهزّ كتفيه في لامبالاة ، ثم أخرج من جيبه بخّاخة صغيرة ، وهو يقول :

— إنني أخشى بالطبع أن تعمدي إلى الفرار ، قبل وصول رجال مكتب مكافحة الجاسوسيّة :

لذا فقد استعرت هذه البخّاخة الأنيقة من صديقك (مارسيل) ، وأظن أنها ستكفي .

ثم دفع رذاذ المادّة المخدِّرة القويّة في وجهها ، ورأى رأسها يسقط على صدرها ، فابتسم في هدوء ، وهو يقول :

— والآن استعدّي يا عزيزتي (كلوديا) .. لقد حان دَوْرك .

* * *

١٠ ـ الخطوة الأخيرة ..

لم تكن عقارب السّاعة قد تجاوزت بعد نصف السّاعة الأوّل من اليوم الجديد ، حينما وصل (أدهم) ، فى سيّارة رهينة (مارسيل بيكر) ، إلى ذلك القصر المنيف فى قلب (باريس) ، الذى تقيم فيه المليونيرة الفرنسية (كلوديا موريس) ، وفى هذه المرّة كانت تتبعه سيّارة (ليموزين) سوداء ضخمة ، تكتظ بما يفوق سعتها من ركّاب ، وتحمل فوقها حقيبة جلديّة كبيرة ..

وأسرع إليه حارس البوّابة ، وهو يهتف فى حرارة امتزجت بها بعض الدهشة :

ـ مرحبًا أيها الزعيم .. ما الذى ......؟

وبتر عبارته فجأة ، حينما لاح له أنه من الخطإ أن يسأل زعيمه ، عن سبب قدومه ، فعاد يكرّر فى غمغمة خافتة :

ـ مرحبًا أيها الزعيم .

تطلّع إليه (أدهم) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ اجمع الرجال ، وليعُد الجميع إلى الفيلّا ، انتظارًا لأوامرى .

ارتفع حاجبا الرجل ، واتسعت عيناه فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ هل تتخلّى عن حراسة القصر أيها الزعيم ؟

أجابه (أدهم) فى لهجة غاضبة صارمة :

ـ أسمعت ما أمرتك به ، أم أن الخمور الرديئة ، التى اعتدت تناولها قد أفسدت سمعك ؟

حدّق الرجل فى وجهه ببلاهة ، وقد أدهشه أن الزعيم لا يعلم أن الأجر الضخم ، الذى يمنحهم إيّاه ، يكفيهم لتناول أفخر أنواع الخمور ، وأغلاها ثمنًا ، ولكنه عقد حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـ كما تأمر أيها الزعيم .

ثم عاد يستدرك ، وهو يشير إلى (الليموزين) :

ـ وماذا عن هؤلاء ؟

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـ سيدخلون معى .

اعتدل الرجل وهو يقول :

ـ كما تأمر أيها الزعيم .

انطلق (أدهم) بسيّارته إلى حديقة القصر ، وتبعته

(الليموزين) السوداء بركابها ، فيما تابع حارس البوّابة السيارتين فى حَيْرة ، وسأله زميله فى فضول :

— من هؤلاء ، الذين يصْحَبُون الزعيم ؟

غمغم الحارس فى حَنَق :

— يبدو أنهم طاقم الحراسة الجديد .. يلُوح لى أن الزعيم لم يعُد يثق بقدراتنا .

وصمت لحظة ، قبل أن يردف بمزيد من الحَنَق :

— هيَّا .. اجمع الرِّجال ، سنغادر هذا المكان اللعين ، كما أمر الزعيم ، وإلا صبَّ جام غضبه علينا ، إذا ما عاد فوجدنا هنا .

* * *

عقدت (كلوديا) حاجبيها فى دهشة وحَيْرة ، حينما أخبرها خادمها ، وهو ينحنى أمامها انحناءة كبيرة ، أن (مارسيل بيكر) يريد رؤيتها ، ولكن هذا لم يمنعها من أن تشير إلى الخادم فى غطرسة ، ليخبر (مارسيل) أنها تنتظره ، وأشعلت سيجارتها ، وملأت كأسها بـ (الكونياك) المفضّل لها ، وتمدّدت فوق أريكة وثيرة ، تنفث دُخان سيجارتها ، وتتطلّع إلى باب حجرتها فى ترقُّب ، حتى لاح لها وجه (أدهم) ، وهو

ينتحل شخصية (مارسيل) ، فرسمت على شفتيها ابتسامة رقيقة ، لم تنجح فى إخفاء قلقها ، الذى بدا واضحًا فى صوتها ، وهى تقول :

— مرحبًا يا عزيزى (مارسيل) .. كيف حالك ؟.. أيّة رياح طيبة أتت بك إلى هنا ؟

تقدّم (أدهم) فى هدوء ، ليجلس على المقعد المجاور لها ، وانتزع من كفّيه ذلك القفاز الجلدىّ القصير ، وهو يقول فى سخرية :

— لقد انتابتنى فجأة رغبة ملحّة فى رؤيتك يا عزيزتى (كلوديا) ، ودفعنى الشوق إلى رؤيتك الآن .

تطلّعت إليه (كلوديا) فى دهشة ، ثم لم تلبث أن عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى صرامة :

— اسمع يا (مارسيل) .. إننى أختلف تمامًا عن (جوزفين) ، ولو أنك تتصوّر أننى سأقبل حلولى محلّها فأنت واهِمٌ .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول فى سخرية :

— أعلم ذلك يا عزيزتى (كلوديا) ، فأنت تختلفين عن الجميع .

حدقت (كلوديا) فى وجهه فى حيرة ، ثم اعتدلت جالسة ، وهى تسأله فى قلق :

ـ (مارسيل) .. لِمَ تبدو مختلفًا هذا المساء ؟

استعاد (أدهم) صوته الأصلىّ ، وهو يقول متهكمًا :

ـ لأننى ببساطة لست ذلك الوغد (مارسيل) يا عزيزتى (كلوديا) .

قفزت (كلوديا) من على الأريكة فى ذهول ، واتسعت عيناها عن آخرها ، وهى تحدّق فى وجه (أدهم) ، الذى انتزع ذلك القناع ، الذى يحمل ملامح (مارسيل) ، وألقاه جانبًا فى ازدراء ، قبل أن يقول فى سخرية :

ـ هل أدهشتك رؤيتى يا عزيزتى (كلوديا) ؟

ظلت (كلوديا) تحدّق فى وجهه بمزيج من الذهول والرعب ، قبل أن تهتف فى صوت مرتجف :

ـ مستحيل !.. لقد جعلك ذلك القناع نسخة طبق الأصل من (مارسيل) ، ولكن صوتك هذا مستحيل !!

هزّ (أدهم) كتفيه فى هدوء ، وهو يقول :

ـ لقد استغرقت ثلاثين عامًا كاملة ؛ لأكسب حنجرتى هذه المرونة الصوتية يا عزيزتى (كلوديا) ، ولكننى أشعر فى الكثير من المواقف ، أن هذا التدريب الشاق لم يذهب سُدى .

التقطت (كلوديا) أنفاس سيجارتها بأصابع مرتجفة ، وحاولت أن تتظاهرَ بالهُدوء والثقة ، وهى تقول فى لهجة تحمل صيغة الإنذار والوعيد :

ـ هل يعلم (مارسيل) أنك تنتحل شخصيته ؟

ابتسم (أدهم) ، وشبّك أصابع كفّيه أمام وجهه ، وهو يقول فى هدوء :

ـ هذا لم يعُد يهمّ .. لقد انتهى (مارسيل بيكر) تمامًا .

اتسعت عيناها فى رُعب وذُهول ، وهى تهتف :

ـ هل .. هل قتلته ؟

مطّ شفتيه ، وهزّ كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

ـ إننى أكره إراقة الدّماء يا عزيزتى (كلوديا) .. كل ما فعلته هو أننى سلّمت كل المستندات التى تدينه إلى النائب العام هنا ، وهم يقتحمون فيلته الآن ، وأعتقد أن عقوبته لن تتجاوز الإعدام بالمِقْصَلَة .

ازداد ارتجاف أصابع (كلوديا) ، وشعرت أنها باتت عاجزة عن التقاط أنفاس سيجارتها ، وهى تغمغم فى صوت مختنق :

ـ وماذا عن (برجيت) ؟

أجابها (أدهم) في هدوء شديد :

— لم يعد باقيًا سواك ياعزيزتي (كلوديا) .

انتقل ارتجاف أصابع (كلوديا) إلى جسدها كله ، وهي تتطلع إليه في توتر ، قبل أن تقول في عصبية :

— اسمع يامسيو (أدهم) .. لقد كنت شديدة الحرص والحذر منذ البداية ، ولن تجد دليلًا واحدًا يدينني ، أو يربط بيني وبين (مارسيل) أو (برجيت) ، فحتى الأموال التي كانت تحصل عليها هذه الأخيرة من مؤسستي ، كانت تصرف بتوقيع (جوزفين) وليس بتوقيعي ، ويمكنني أن أدّعي أنني لم أكن أعلم هذا .

قال (أدهم) في هدوء :

— لست أحتاج إلى أدلّة ياعزيزتي (كلوديا) .

تضاعفت عصبيتها ، وهي تقول :

— لا بأس .. أنا سيّدة أعمال .. دعنا نتحدث بأسلوب تجاري بحت .. إنني على استعداد لدفع مبلغ .....

قاطعها (أدهم) في برود :

— إنني أرفض .

هتفت في حِدّة :

— حتى ولو كان المبلغ يحمل سبعة أصفار إلى يمينه ؟

ابتسم في سخرية ، وهو يقول :

— حتى ولو أحاطت به الأصفار من كل جانب .

بلغت عصبيتها ذروتها ، وهي تصيح :

— ماذا تريد إذن ؟

ظلّ (أدهم) صامتًا لحظة ، ثم مال نحوها ، وهو يقول في هدوء مثير للأعصاب :

— ماذا فعلتِ في أثناء زيارتك لمصر يا (كلوديا) ؟

حدّقت (كلوديا) في وجهه لحظة ، ثم اعتدلت ، ونفثت دخان سيجارتها في عصبيّة ، وهي تقول :

— هل يمكنني اعتبار السؤال هو بداية المساومة ؟

عاد يكرّر سؤاله في مزيد من الصرامة :

— ماذا فعلتِ في (مصر) يا (كلوديا) ؟

هتفت في حِدّة :

— لن يُمكنك مُحاكمتي في (فرنسا) ، بتهمة التجسّس على (مصر) ، وإذا أردت أن أخبرك بما فعلته في (مصر) ، فينبغي أن تعدني بأنك لن تحاول إرسالي إلى هناك لمحاكمتي .

ابتسم في هدوء ، وهو يقول :

ـ أعدك يا (كلوديا) . .

تسلل الأمل إلى نفسها ، فعادت تهتف :

ـ وأن تبتعد عن طريقى ، ولا تحاول تسليمى للشرطة الفرنسيّة ، أو قتلى .

عاد يقول فى هدوء :

ـ لك هذا أيضًا .

زفرت فى ارتياح ، وقالت :

ـ حسنًا .. لقد ذهبت إلى (مصر) ؛ لأزرع جاسوسًا خاصًا وسط صفوفكم .

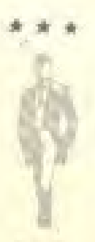
عقد حاجبيه فى اهتمام ، وهو يقول :

ـ فى أى موقع ؟.. وما اسمه ؟

نفثت دُخان سيجارتها ، وهى تقول :

ـ لم يعُد هناك مجال للتراجع .. سأخبرك .. سأخبرك بكل التفاصيل .

* * *



١١ ـ إلى (موسكو) مع تحياتى ..

لم يكد ذلك الفرنسى يغادر بهو الفندق الفاخر ، فى قلب (القاهرة) ، وهو يتحسس فى جيبه تلك القدّاحة الذهبيّة ، التى تحوى الميكروفيلم ، حتى استوقفه النقيب (مدحت) ، وهو يسأله فى هدوء ، وبفرنسية سليمة :

ـ هل أجد لديك ما أشعل به سيجارتى ياسيّدى ؟

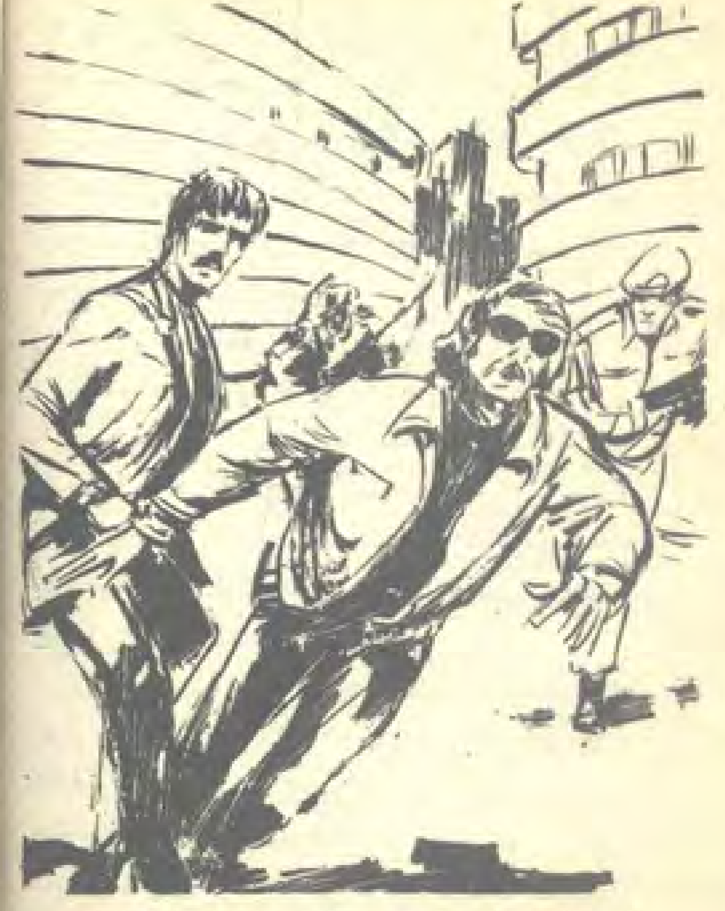
ابتسم الفرنسى ، وهو يقول فى هدوء :

ـ لا للأسف .. إننى لا أحمل قدّاحة ، أو أعواد ثقاب .

رفع (مدحت) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

ـ عجبًا !!.. كنت أظنك تحمل قدّاحة ذهبيّة أنيقة ، تحوى ميكروفيلم دقيقًا ، يمتلئ بصور بعض التصميمات الحربيّة السّريّة . .

لم ينتظر الفرنسى ليتمّ (مدحت) عبارته ، بل اندفع يحاول الفرار ، بعد أن أيقن أن أمره قد كُشف ، ولكن (مدحت) كان أسرع منه ، فقد وضع قدمه فى طريقه ، ولكمه على مؤخرة عنقه فى قوّة ، ليتيح له السقوط على نحو أكثر سرعة .. ولم يكد الفرنسى يحاول النهوض ، حتى فوجئ بفوّهات المسدّسات



لم ينتظر الفرنسى ليتم (مدحت) عبارته ، بل اندفع يحاول الفرار ، بعد أن أيقن أن أمره قد كُشف ، ولكن (مدحت) كان أسرع منه ..

والمدافع الرشاشة تحيط به ، وسمع (مدحت) يقول فى هدوء ساخر :

— والآن .. هلّا تكرّمت بمنحى تلك القدّاحة الأنيقة ، إننى أنوى الاحتفاظ بها كتذكار للقائنا المؤثر .

رفع الفرنسى ذراعيه فى رُعب ، وهو يهتف :

— سأخبركم بكل شىء .. إننى مجرّد وسيط .. أقسم لكم .. سأخبركم بكل شىء .

* * *

انتظر الجاسوس الذى ينتحل شخصية اللواء (حسن الغندور) بعض الوقت ، قبل أن يطوى صحيفته ، ويضعها فوق المنضدة ، ثم ينهض استعدادًا للصُّعود إلى حجرته ، حيث يحفظ زميله ، الذى ينتحل صفة طبيب ، باللواء (حسن) الحقيقى مخدّرًا ، انتظارًا لقدومه ، حيث تتبدّل الأدوار ، ويعود كلٌّ إلى شخصيته ، ويدّعون أن اللواء (حسن) قد فقد وعيه فى الفندق ، فى حين يتجه الجاسوس إلى المطار ، ويعود إلى (باريس) بجواز سفره الحقيقى ..

ولم يكد الجاسوس يخطو بضع خطوات ، حتى استوقفه شاب هادئ ، باسم الثغر ، وهو يقول فى بساطة :

— كيف حالك ياسيادة اللواء ، إنك تذكرنى .. أليس كذلك ؟

شعر الجاسوس بالضيق ، ولكنه رسم على شفتيه ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

— بالطبع .. ولكننى لست أذكر الاسم و.....

قاطعه الشاب فى هدوء :

— النقيب (مدحت مختار) .. لقد عملت تحت رياستك فى هيئة التصنيع الحربى .

رفع الجاسوس حاجبيه ، متظاهرًا بأنه قد تذكّر (مدحت) ، وهو يهتف :

— نعم .. لقد تذكّرت .. كيف حالك ياولدى ؟

ابتسم (مدحت) ، وهو يقول :

— فى خير حال ياسيّدى .. ولكنّ هناك أمرًا يقلقنى للغاية .

عقد الجاسوس حاجبيه ، وهو يسأله :

— أى أمر ياولدى ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (مدحت) ، وهو يقول :

— أين تحتفظ باللواء (حسن) الحقيقى ؟

اختلج قلب الجاسوس فى قوّة ، إلّا أن ملامحه ظلّت هادئة ، وهو يتظاهر بالدهشة ، قائلًا :

— ماذا تعنى أيها النقيب؟.. أنا اللواء (حسن الغندور) الحقيقى:

أطلق (مدحت) ضحكة قصيرة ، وهو يقول :

— لا داعى لإضاعة الوقت فى مهاترات لا طائل تحتها أيها الوغد .. لقد كانت خطتكم بالغة الإحكام ، ولكن السيّدة زوجة اللواء (حسن) الحقيقى كشفت أمرك ، حينما خاطبتها بلقب (زوجتى الحبيبة) ، ذلك اللقب الذى لم يعتد زوجها مخاطبتها به أبدًا ، ولقد أوقعت بك تلك السيّدة الفاضلة ، حينما سألتك ما إذا كنت تريد تناول قدح القهوة كالمعتاد ، فلمّا أجبتها بالإيجاب أيقنت أنك لست زوجها ، وأسرعت تتصل بنا وتبلغنا بالأمر ، ففهمنا اللّعبة على الفوْر ، واتخذنا أهبتنا لإلقاء القبض عليك .

ولم يستطع منع نفسه من إطلاق ضحكة أخرى قصيرة ، قبل أن يستطرد :

— لقد فشلت تحرّياتكم فى معرفة نقطة بالغة الأهمية أيها

الوغد ، وهى أن اللواء (حسن) الحقيقى لا يحاول القهوة قط .

اتسعت عينا الجاسوس فى ذعر ، وقد أيقن أن ربة بيت مصرية عادية قد أوقعت به ، وحطمت خطة مُحكمة ، ضحى من أجلها بوجهه ، ليحمل إلى الأبد وجه اللواء (حسن) ، وجفت الدماء فى عروقه ، وهو يواصل الاستماع إلى (مدحت) ، الذى أردف فى هدوء :

ـ ولم يعد بإمكانك الإنكار ، أو حتى الفرار ، فلقد ألقينا القبض على الرجل الذى سلمته قداحتك الذهبية ، التى تحوى الميكروفيلم ، ولدينا شريط فيديو أنيق ، يحوى تفاصيل استبدال القداحتين بالصوت والصورة ، والفندق محاصر برجال الشرطة والمخابرات ، ولديهم أوامر مباشرة بإطلاق النار عليك فى مقتل ، عند أول بادرة لمحاولة فرار .. أتحب أن تستسلم فى هدوء ، أم ننقل جثتك إلى مقابرنا بعد معركة قصيرة ؟

أطرق الجاسوس برأسه فى استسلام ومذلة ، وهو يغمغم فى مرارة :

ـ لقد قلتها بنفسك .. لا داعى لإضاعة الوقت .

ثم أردف فى لهجة تحمل قنطارًا من الدموع :

ـ إننى أستسلم ، وسأخبركم بكل شىء .

* * *

استمع (أدهم) فى إعجاب إلى حديث مدير المخابرات المصرية ، وهو يقص عليه ، عبر هاتف (كلوديا) الدولى الخاص ، تفاصيل إلقاء القبض على الجاسوس ، ثم ابتسم وهو يقول :

ـ عملية رائعة يا سيدى .. قدم تهنئتى إلى (مدحت) ، وسأهنئه بنفسى حين عودتى .

ثم وضع السماعة ، والتفت إلى (كلوديا) ، قائلًا فى سخرية :

ـ لم يكن لاعترافك جدوى يا عزيزتى (كلوديا) .. لقد ألقوا القبض على ذلك الوغد فى (القاهرة) منذ ساعة واحدة .

عقدت حاجبيها ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى عصبية ، قائلة :

ـ لقد وعدتنى .

ابتسم ، وهو يقول فى هدوء :

ـ بالطبع يا عزيزتى (كلوديا) .. لقد وعدت بألا أحاول إرسالك إلى (القاهرة) ، أو إبلاغ الشرطة الفرنسية ، أو تعقبك على أى نحو ، وأنا رجل أفى بوعودى .

ارتسمت ابتسامة ارتياح على شفتى (كلوديا) ، إلا أن القلق عاد إليها أضعافًا مضاعفة ، حينما ارتفع صوت (أدهم) ، وهو يهتف بعبارة ما ، بلغة لم تفهمها ، واتسعت عيناها فى فزع

من الذُّعر والدَّهشة ، حينما دخل إلى حجرتها الخاصَّة رجل بارد الملامح ، مربَّع الوجه ، أشقر الشعر ، ضيِّق العينين ، أزرقهما ، حدجها بنظرة قاسية ، ألقتِ الرُّعب فى قلبها ، قبل أن يقدِّمه إليها (أدهم) ، قائلاً فى هدوء :

ــ الكولونيل (سيرجى كوربوف) .. من الـ (كى. جى. بى.) ، وهو يريد أن يستجوبك بشأن عملية (موسكو) .. أوَّل عملية قامت بها منظمتكم الخاصَّة .

تراجعت (كلوديا) ، وهى تهتف فى رُعب :

ــ ليس لدىَّ ما أقوله .. لن أنطق بكلمة واحدة .. ليس لكما الحق فى استجوابى فى منزلى .

هزَّ (أدهم) رأسه ، قبل أن يقول فى بُرود :

ــ لقد أخطأت فهمى يا عزيزتى (كلوديا) .. إنَّ (سيرجى) لا ينوى استجوابك هنا .. إنه سيحملك معه ، فى حقيبة ديلوماسية أنيقة ، إلى (موسكو) .. مع تحياتى .

تجلَّت أبشع صور الرعب على وجه (كلوديا) ، وهى تصرخ فى صوت مختنق :

ــ (موسكو) ؟!.. كلا .. كلا .

ثم اندفعت نحو النافذة ، وكأنما جال بخاطرها أن الانتحار

أقلّ ألماً من استجوابها فى (موسكو) .. ولكن (سيرجى) قفز نحوها ، وجذبها من شعرها فى قوّة ، جعلتها تصرخ فزعاً وألماً ، ثم انتزع من جيبه حقنة صغيرة ، غرز إبرتها فى ذراعها ، ليدفع فى جسدها مادّة شفّافة ..

وتأوّهت (كلوديا) فى ألم وذُعر ، وأخذت تلوّح بذراعيها فى فزع ، وهى تهتف فى صوت متهالك :

ــ كلا .. ليس (موسكو) .. ليس (موسكو) .

وأخذت تردّد نفس العبارة ، وصوتها يخفت ويتهالك تدريجيًا ، حتى سقطت فاقدة الوعى ، بين ذراعى (سيرجى) ، من أثر المادّة المخدّرة ، التى حقنها بها ..

وتركها (سيرجى) تسقط أرضًا فى لامبالاة ، ثم التفت إلى (أدهم) ، وسأله فى برود :

ــ شكرًا لهديتك أيها الرفيق (أدهم) ، ولكننى ما زلت أتساءل : لماذا قدّمت إلينا زعيمة (ملائكة السلام) على طبق من فضة ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ــ بل من ذهب يا صديقى .

ثم تنهّد ، واكتست ملامحه بالجدّيّة ، وهو يردف :

— يمكنك أن تقول إننى رجل يحبُّ أن يسدّد ديونه أولاً فأوّلاً ، ويكره الوسائل التقليديّة المألوفة .

حدجه (سيرجى) بنظرة متشكّكة ، ثم عاد يسأله ببروده التقليدى :

— سؤال أخير أيها الرفيق (أدهم) .. كيف عثرت علىّ ، على الرغم من مغادرتى سفارتنا بعد لقائنا الأخير فيها ؟

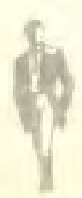
ارتسمت ابتسامة غامضة على شفتى (أدهم) ، وهو يقول :

— معذرة أيها الرفيق (سيرجى) .. لن يمكننى كشف وسائل مخابرات وطنى السرّيّة أبدًا .

وفاضت كلماته بالعزم والقوّة ، وهو يُردف فى اعتزاز :

— أبدًا .

* * *



١٢ — الختام ..

ذلف (أدهم) إلى ذلك الفندق الفاخر ، الذى يطلّ على برج (إيفل) الشهير ، فى قلب (باريس) ، وهو فى هيئة الإنجليزى الوقور .. ولم يكد موظّف الاستقبال يلمحه ، حتى هتف به فى احترام :

— مرحبًا ياسير (إدوارد) .. لقد وصل سكرتيرك الخاصّ ، وأعطانى جواز سفرك ، وهو ينتظرك فى قاعة الطعام .

ثم ناول (أدهم) جواز سفر بريطانيًا ، وهو يردف فى احترام :

— هاك الجواز ياسيّدى .. لقد نقلت كل البيانات المطلوبة .

تناول (أدهم) جواز السفر ، وهو يغمغم فى هدوء :

— شكرًا لك ..

ثم أسرع الخطا إلى قاعة الطعام ، وابتسم وهو يتطلّع إلى رجل بالغ البدانة ، انهمك فى التهام إفطار دسم فى شراهة واضحة ، واقترب منه ، ليضع يده على كتفه قائلاً :

— مرحبًا بك فى (باريس) ياعزيزى (قدرى) .

كفّ (قدرى) عن التهام طعامه ، وتهلّلت أساريره وهو يهتف :

— كيف حالك ياصديقى ؟

جلس (أدهم) إلى جواره ، وضحك وهو يقول فى مرح :

— هل أعجبك طعام (باريس) ؟

قهقه (قدرى) ضاحكًا ، على نحو أقلق كل روّاد قاعة الطعام ، وهو يقول :

— إنها تعويض كافٍ عن انتزاعهم لى من فراشى بعد منتصف الليل ، حتى أفرغ إليك ياصديقى العزيز .

فتح (أدهم) جواز السفر ، وألقى نظرة على الصورة التى تزيّنه ، والتى تبدو مماثلة لهيئته الحاليّة تمامًا ، ثم قلّب صفحاته لتطالعه تأشيرة مزوّرة بإتقان بارع ، لدخول الأراضى الفرنسيّة ، وأخرى حقيقية للسفر إلى (مصر) ، ثم عاد يغلقه ، ويدسّه فى جيب معطفه ، وهو يقول فى إعجاب :

— عمل رائع ياصديقى .. إنك تمتلك حقًّا أصابع ذهبيّة .

هزّ (قدرى) كتفيه فى لامبالاة ، وعاد لالتهام طعامه فى شراهة ، وهو يقول :

— إنه عمل بالغ البساطة ياصديقى ، فأنت تنتحل شخصية سبق لك انتحالها ، وكنت أحتفظ ببعض الصُّوَر الواضحة لك فى هذه الهيئة ، ثم إن مكتبى يحوى جوازات سفر لكل الجنسيّات ، وتأشيرات واضحة لدخول كل دُوَل العالم ، ولم يستغرق الأمر منّى أكثر من نصف الساعة ، لأصنع الجواز المطلوب .

ضحك (أدهم) ، وهو يقول فى إعجاب :

— يالك من عبقرى متواضع ياصديقى !!

عاد (قدرى) يهزّ كتفيه فى لامبالاة ، ثم سأل (أدهم) فى اهتمام :

— كيف حال مهمّتك ؟.. هل نجحت ؟

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول فى ارتياح :

— نعم ياصديقى .. لقد انفرط عقد (ملائكة الجحيم) إلى الأبد ..

* * *

ظلّت (منى) صامتة طوال الطريق إلى (القاهرة) ، حتى سألها (أدهم) مبتسمًا ، حينما دخلت الطائرة الأجواء المصريّة :

— ماذا بك يا عزيزتى ؟

أجابته فى صرامة :

— غاضبة .

ضحك ، وهو يقول :

— لماذا ؟

التفتت إليه لتقول فى حَنَق :

— لأنك أهملتنى تمامًا فى الجولة الأخيرة من العمليّة ، وقمت بالعمل كلّه وحدك ، ودون مشاركتى .

ربّت على كفّها فى حَنان ، وهو يقول :

— مَعْذِرةً يا عزيزتى .. كنت أعلم أن هذا سيثير حفيظتك ، ولكننى أقسمت لنفسى قبل أن أفرّ من السجن ألا ألجأ لأيّة معاونة ، حتى أوقع بآخر فرد من (ملائكة الجحيم) .

قالت فى غضب :

— وماذا عن (قدرى) ؟.. ألم يأت لك بجواز السفر البريطانى الذى جعلك تنجح فى العودة إلى (القاهرة) ، بينما كل رجل شرطة فى (باريس) يبحث عنك ؟

ضحك وهو يقول :

— كنت قد انتهيت من المهمة حينذاك يا عزيزتى .

عقدت حاجبيها ، وهى تقول :

— لا تحاول خداعى .

ابتسم فى وُدّ ، وهو يتطلّع إليها ، قائلًا :

— لقد انتهت المهمة بنجاح يا عزيزتى ، وهذا هو المهمّ .

ثم أردف ضاحكًا :

— ثم إن حديثنا سيوقظ صديقنا (قدرى) ، وهو قد ظلّ مستيقظًا طيلة الليل ، حتّى يصل بالجواز إلى (باريس) مَعَ الفجر .

ابتسمت لدعابته ، وصمتت لحظة ، قبل أن تسأله فى رقّة :

— كيف تتوقّع عناوين الصحف الفرنسية غدًا ؟

هزّ كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

— القبض على (مارسيل بيكر) .. قضية الجاسوسية الخاصّة بـ (برجيت فرانسوا) .. واختفاء المليونيرة (كلوديا موريس) .

غمغمت (منى) فى إشفاق :

— مسكينة (كلوديا) .

تنهّد قبل أن يقول فى هدوء :

— لقد نالت ما تستحق يا (منى) ، وهذا أقل جزاء ، لمن يهدّد أمن (مصر) .

* * *

اجتمع عدد من الملازمين الأوائل بثياب مدنية ، فى فناء تلك المدرسة القديمة ، المعروفة على مستوى القادة باسم (مدرسة المخابرات) ، ومال أحدهم على أذن رفيقه ، يهمس فى خفة واهتمام :

— هل تعلم من سيلقى محاضرة اليوم ؟

دفعت اللهفة الواضحة فى عينيه وصوته زميله إلى أن يسأله فى شغف :

— مَنْ ؟

أجابه الأوَّل فى لهجة تشفُّ عن خطورة الأمر :

— المقدَّم (أدهم صبرى) .

اتسعت عينا زميله ، وهو يهتف فى دهشة :

— الأسطورة ؟!

أجابه زميله بإيماءة من رأسه ، فعاد يقول فى دهشة :

— ولكن متى عاد من مهمته ؟.. لقد كانوا يقولون إنها مهمة بالغة الخطورة ، ومن المستحيل أن يكون قد أنهاها فى أقل من أسبوع .

تألَّقت عينا زميله فى إعجاب ، وهو يقول :

— لا يوجد مستحيل بالنسبة لرجل مثل المقدَّم (أدهم صبرى) .

بدا الشك فى عينى الآخر ، وهو يغمغم :

— لكل إنسان قدرات محدودة ، مهما بدت فائقة .

هتف زميله :

— أراهنك أنه ما من مخلوق يمكنه تقدير قُدرات المقدَّم (أدهم صبرى) .

ثم تألَّقت عيناه فى إعجاب وخفة ، وهو يشير إلى البوَّابة ، مستطردًا :

— لقد وصل .

اتجهت عيون الجميع نحو سيَّارة بسيطة من الـ (نصر ١٢٨) تعبُر فناء المدرسة ، لتستقر فى هدوء إلى جانب الحافلة ، التى تحضر الجميع إلى المدرسة القديمة ، وتعلَّقت عيون الجميع بالرجل الوسيم ، الممشوق القوام ، العريض المنكبين ، الباسم الثغر ، الذى هبط من السيَّارة ، وهو يقول فى هدوء :

— صباح الخير يا رجال .

أجاب الجميع تحيَّته فى توقير واحترام ، وتبعوه إلى قاعة المحاضرات الفاخرة ، التى يتناقض مظهرها على نحو واضح كبير ، مع مظهر المدرسة القديمة المتهالكة من الخارج ، واستقرَّ هو خلف مائدة الشرح ، وابتسم وهو يقول :

ــ مُحاضِركم اليوم هو المقدّم (أدهم صبرى) ، ومحاضرة اليوم ستجد طريقها إلى قلوبكم فى يسر وسهولة ، فهى تحيا فى أعماق كل منكم ، وهى المحرّك الأوّل لكم .

وابتسم وهو يردف :

ــ إنها محاضرة عن الحبّ .

هتف بعضهم فى دهشة :

ــ الحبّ ؟!

امتلأ صوت (أدهم) بكل الحبّ ، والفخر ، والاعتزاز ، والزهو ، والحماس ، وهو يجيب :

ــ نعم يا رجال .. إنها محاضرة فى حُبّ (مصر) .

* * *

[تمّت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٦١٩

المؤلف

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٦٢

الجاسوس

● هل ينجح رجال (مارسيل بيكر) ، ملك العصابات ، في قتل (أدهم صبري) ، في سجن (باريس) ؟

● كيف تكون الجولة القادمة ، بين المخابرات المصرية ، و (ملائكة الجحيم) ؟.. وهل ينجح جاسوس (ملائكة الجحيم) ؟

● ترى من يحوز النصر في هذه المعركة ؟.. المخابرات المصرية أم (الجاسوس) ؟

● اقرأ التفاصيل المثيرة ، لترى كيف يعمل رجل المستحيل..



العدد القادم : تحت الصفر

الثمن في مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم